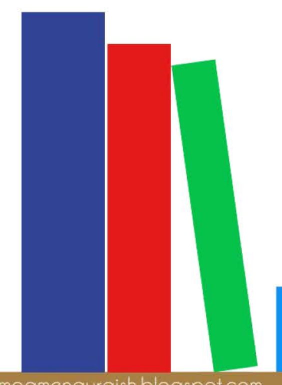
عن الجهاد والثورة

في حياة أهل البيت ع

تأليف الشيخ
محمد فوزي



مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .

الإمام الصادق (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين *

الرحمن الرحيم *

مالك يومو الدين *

اياك نعبد واياك نستعين *

اهدنا الصراط المستقيم *

صراط الذين انعمت عليهم *

غـير المغضوب عليهم *

ولا الضالين *

مقدمة الناشر

الثورة حين يُورق عودها لها وَعَـجٌ أحمر دكن، يبـرق في الافق ، فينجب حـالتان ، حـالـة من الـرعب تمتلك الـطواغيت المتسلطين ، وحالـة من الاستيناس تـوقدهـا الافئـدة المُضطَهَـدَة التي مدت بخيـوط ارجوانيـة صلبـة هزت بها كتل البشر الحاكمة المتخمة اذانها بأنات الثكالى وصراخ المستضعفين .

والثـورة اي ثـورة كـانت ، سـواء اشتعلت جـذوتهـا وخبت ، ام لم تشتعل بعد ، انما تعني الرفض ، الرفض المطلق لواقع سيء ، استفحل فيه الظلم واستشـرى فيه الاضـطهاد ، وتنـامى فيه الفسـاد ، والثورة . اي ثـورة كـانت ، تعني السيل الجمـاهيري الهـادر الـذي سيقتلع هذا الواقع من جذوره .

والثورة اي ثورة كانت ، وسواء انتصرت عسكرياً ، أم لم تنتصر ، لها نتائجها على صعيد المجتمع البشري ، ولكن ليس بالضرورة ان تبرز هذه النتائج مباشرة بعد انطفاء الثورة ، بل ربما برزت بعد سنين ، أو قرون وربما تأثرت بها اجيال ، واجيال ، وهذا هو التاريخ يؤكد ذلك ، وهذا الكتاب الذي بين يديك سيتكفل بالايضاح .

بين يدّي القاريء

الغـرض من البحوث هـو استلهام التجـارب والعبـر والدروس من الحركة الثورية التي كان يقودها ائمـة اهل البيت (عليهم السـلام) في وقت نحن احوج مـا نكون الى هذه الدروس والتجارب .

فأمتنا الاسلامية وهي مقبلة على ابواب تحرر اسلامي كبير من الاستعمار العالمي ، واقزامه الحاكمين المتسلطين على رقاب الناس .

هـذه الأمة بـدأت تتشكـل في تنـظيمـات وحـركـات سيـاسيـة معـارضـة لكي تجـد طـريقهـا نحـو الخـلاص والانطلاق من قيد الاسر والاستعباد ولذلك فإنها تبحث ذات اليمـين وذات الشمـال عن تجـربـة ثـوريـة او عن

وسيلة للعمل ، فلا تجد على الساحة الاّ تجارب اليمين او اليسار .

ولأننا نعتقد ان هذه الحركات سواء اليسارية منها أو اليمينية ليست الا انبثاقا من واقع التخلف والهزيمة الحضارية التي عانت منها امتنا الاسلامية سنين طويلة ، لذا فإننا نرفض ان نقتدي بها لأنها سوف تقودنا الى مستنقع جديد فـ (اليمين والشمال مضلة والوسطى هي الحادة) كما يقول الامام امير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة . . وكما قال الشاعر :

إذا كان الغراب دليل قوم
يمر بهم على جيف الكلاب

ان العدو الاستعماري طالما سعى من اجل قلع (شجرة) الأمة عن جذورها الضاربة في اعماق التاريخ ، وعن اصالتها التي ثبتتها بدماء الالوف من الشهداء ، وحين ينجح سعيه هذا يستطيع ان يقذف الأمة في عرض الشارع (كشجرة اجتثت من فوق الأرض ، مالها من قرار) .

وهنا تأتي ضرورة الارتباط بالقسم المشرق من تاريخ امتنا بقسم الثورات والانتفاضات والتمرد على الظلم والطغيان البشري حيث ان هذا الارتباط يجعلها تعيش دائما هاجس اسلافها الثائرين والمصلحين ، ويدفعها لترسم خطاهم والاقتداء بهم .

وهذه المواضيع محاولة لازالة الغبار من تلك الزوايا المظلمة في تاريخنا ولاستجلاء الدور الثوري الذي قام به قادتنا الرساليون في الأمة . . ارجو ان يوفقني الله وغيري للقيام بهذا العمل . ولا بد ان اشير هنا الى صعوبة البحث للاسباب التالية :

١ ـ الطبيعة السرية للجهاد : فلا شك ان هؤلاء القادة والأئمة وهم يمارسون عملية التغيير الاجتماعي والسياسي ، ويعملون للاطاحة بالحكومات الظالمة وإقامة حكومة الله والناس اضطروا ـ لوجود الكبت والارهاب العنيف ـ الى اخفاء ادوارهم والقيام بها بشكل في غاية السرية والتكتم ، حتى لقد غدت التقية ـ العمل السري ـ ، هي شعار العمل والعاملين .

٢ ـ قلة المعلومات (الخام) : فبينما تجد الكثير من

المجلدات مفردة لتناول حياة الخلفاء والحكام ، واحيانا لتناول الحياة الشخصية للقادة الرساليين ، الا انك لا تستطيع ان تجد من يتحدث ويتناول الجوانب الجهادية والثورية لهم حتى ولو كحوادث دون تعليق عليها .

إن المؤرخ يجهد نفسه كثيراً لتحديد يوم وفاة هذا القائد هل كان الاثنين ام الثلاثاء ، وعن نقش خاتمه هل كان (وما توفيقي الا بالله) او غيره ، وعن اسم والدته بينما لا يكلف نفسه عناء البحث عن دور جهادي مارسه الإمام القائد ، وعن كيفية مواجهته للسلطة في عهده .

٣ ـ الفارق الموضوعي : في الزمان والمكان واللغة ، ولا شك ان لها تأثيراً غير قليل في هذا المجال ، فقد يكون وجود كلمة معينة في زمن من الازمنة والتركيز عليها كاشفا عن الظرف السياسي آنئذ ، ككلمة التقية مثلا التي انتشرت بشكل كبير في اواسط العهد الاموي كاشفة عن ظروف الارهاب والقمع الموجود آنئذ .

وقد يكون استخدام كلمة ما بين وقت وآخر يدل على مدلولات مختلفة ، فكلمة (الامر) التي استعملت

في البداية لتدل على حالة فكرية واجتماعية ، فإذا قيل (ان فلانا على هذا الامر) عرف منه انه يؤمن بفكرة ما وينتمي الى التجمع الذي يتجسد فيه هذه الفكرة ، بينما نفس هذه الكلمة نجدها قد تغير معناها في زمن الصادق والكاظم (عليهما السلام) ومن بعدهما لتدل على الثورة ، حيث يقول الامام الصادق (فوالله لقد قرب هذا الأمر فاذعتموه ، فاخره الله) .

ولكن . .

(لا بد من صنعاء وان طال السفر) .

رغم كل هذه الامور فإن حاجة الامة تبقى ملحة واكيدة وتتزايد يوما بعد يوم بنسبة تزايد المؤامرة عليها لفصلها عن اصالتها وتاريخها .

فهيا بنا ـ عزيزي القاريء ـ لنستوضح هذه الادوار الرسالية التي نأمل ان تتمثلها امتنا لتنتصر بإذن الله . والله ولي النصر والتوفيق .

جمادي الثانية/ ١٤٠٢ هـ محمد فوزي

الفصل الاول
قادتنا والحركة الثورية

قادتنا والحركة الثورية

قسمان من الناس في مجتمعنا الاسلامي ، تعقد الدهشة السنتهم ، وترتفع حواجبهم حتى قمة رؤوسهم ، حين يكون الحديث عن حركة ثورية تغييرية كانت لدى الأنبياء أو الأئمة تهدف إلى اسقاط الحكم الطاغوتي ، وإقامة المجتمع التوحيدي .

القسم الاول : الجيل المتزمت : الذي لم يفهم الدين فهما شاملا ومتكاملا ، وإنما اخذ جزءا منه وترك اجزاء اخرى ، فقسم كبير من أبناء الأمة ونظرا لظروف التخلف الفكري والثقافي فهم الدين فهما خاطئا متأثراً بحالته الشخصية او بظروف أخرى .

فلكي يعلل اسلوب حياته ، ويبرر طريقة معيشته

اليومية القائمة على الاهتمام بالجوانب الشخصية او العبادية من الدين ، وتوك الجوانب العملية والجهادية والثورية ، لكي يبرر كل ذلك نراه يلجأ الى تفسير الدين بهذه الطريقة .

ولأنه يهادن السلطة الطاغية ، ولا يثور ضدها ويتنعم في (خيراتها) !! .

لذلك يبحث عن آيات (طاعة اولي الامر) ويركبها على الموقف ، ولتبرير تقاعسه نراه يحفظ آيات حرمة الالقاء بالنفس الى التهلكة وآيات الصبر - بالمفهوم السلبي الذي نعرفه - وما اشبه .

وكما فهم الدين فهما خاطئاً ، كذلك فهم حياة القادة فالقارىء للكثير من الكتب التي تتحدث عن حياة الرسل او الأئمة لا يرى فيها شخصية هؤلاء القادة على حقيقتها وإنما يرى فيها شخصية الكاتب وافكاره ، « تقولبت » في إطار تاريخ حياة هؤلاء القادة . فحين يكون الكاتب فقيراً يبرز فيها دور الفقر واهميته في الاسلام وان احباب الله هم الفقراء ، وحين يكون غنيا

فإنه يقوم بالتنقيب عن كـل موقف ومـوقع يتحـدث عن غنى الامـام (الفـلاني) وعن مـــلابســه كيف كــانت ، وهكذا .

ولأن امتنـا في الفتـرة السـابقـة ورثت افكـار الخنـوع والركوع من اجيال التخلف الماضية ، لذلك لم تتحرك ، لم تثر .

ومن هنا اصبح طرح فكرة : ان لأولياء الله حركـات عـاملة ضد طـواغيت عصـورهم ، اصبـح مجـرد طـرح الفكرة امراً مستغربا ويثير الدهشة والاستنكار .

القسـم الثاني : الجيل المنهـزم : الذي نشـأ كرد فعـل خـاطىء على الـظروف التي عاشتهـا امتنا الاسـلاميـة ، فـاصبح لا يـرى الامور الا بنـظارات غربيـة ، ولا يرى شيئاً حسنا الا اذا كان من الخارج .

هـذا الجيـل ايضـاً يـدهش حـين الحـديث عن هـذا الموضوع ، لأنـه لا يعلم ثورة قبـل الثورة الانكليـزية او الفرنسية او الروسية بل ان قضية الثورة انما جـاءت الينا من (ما وراء البحار) ؟! فإذا اردنا ان ننظر الى الابداع

الى الحياة ، فلننظر الى الشرق والغرب ، امـا امتنا فـلا تملك شيئاً ، لا تاريخا ولا ابداعا ! !

والآن لنتحدث :

هـل كـان لـدى الانبيـاء والأئمـة (عليهم السـلام) حركات ثورية معارضة ؟! .

ام ان المسألة جديدة ، حديثة عهد ؟ !

إن هذا يدعونا للحديث المفصل والشامل عن رسـالة الانبياء .

الأنبياء ورسالتهم

إن هـدف رسالـة وبعثة الانبيـاء ، وهدف جهـودهم وتضحيـاتهم وقتلهم ، و١٢٤ الف نبي ورسول هـو كـما يقـول امير المؤمنـين (عليه السـلام) (ان ينقلوا الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد) .

فلم يكن هدفهم فقط ان يوفروا الخبز للجماهير وإن كـان احد اهـدافهم ، ولم يكن هـدفهم فقط ان يـزيلوا المستكبـرين عن رقاب المستضعفـين وان كان هـذا احـد اهدافهم .

إنما الهدف الاساسي لرسـالة الانبيـاء : القيام بثـورة تغييـرية شـاملة لكل نـواحي المجتمع البشـري ، تشمل فكـره كما تشمـل سلوكه واخـلاقه وقيمـه ، وبعد ذلـك لكي تحقق للانسان حريته وكـرامته وحيـاته الهـانئة ، في

ظـــل عــبـــادة الله ﴿ ومــا خـلقـت الجـن والأنسُ الا ليعبدون ﴾ .

وكلنا يعلم ان التغيير الشـامل يبـدأ بالقـاعدة وينتهي بـالقمة ، يبـدأ بالجمـاهير ويسقط الحكم الـطاغـوتي ، وبغير ذلك لن يكون التغيير شاملا ، فـلا يمكن ان تتغير الجماهير وتتمسك بدينهـا وتمارس حـريتها ، وتصـل الى حيث يـريد منهـا دينها ومـع ذلك السلطة الـطاغية عـلى رأس البلاد تحكم ، هذا غير ممكن .

فالكيان السياسي الحاكم الـذي تمثله السلطة ، عادة مـا يكـون مسيـطراً عـلى المجتمـع وعـلى فكـر المجتمـع وتـوجهاتـه ان لم يكن هناك اعـلام مضـاد وفكـر مضـاد وذلك باعتبار امتلاك السلطة لمواقع التـأثير عـلى المجتمع كالاجهزة الاعـلامية وغيـرها ، ولـذلك (يكـون الناس عـلى دين ملوكهم) اي يفكرون بـطريقة تفكـير السلطة ويعيشون نمط حياتهم حسب استطاعتهم ، كما قلنـا إذا لم يكن هناك عمل واعلام مضاد .

وكما جاء في روايات عديدة تمثل العـلاقة بـين الحكم وبين الجماهـير كعلاقـة منبع النهـر والقنوات المتفـرعة ،

فإذا كان منبع النهر صافيا عذبا كذلك تكون القنوات ، وأما إذا كان مرا علقما فإن القنوات لن يكون حالها بافضل من النبع .

ولهذا نحن نرى المجتمعات في زمن الأنبياء والرسل ، اول ما يأتي هؤلاء يكون نصيبهم التكذيب والاستهزاء والرفض ، ولفترة قد تطول وقد تقصر من الزمن ، وذلك لسيطرة الاعلام الجاهلي على المجتمع المعادي لحركة الانبياء .

وحتى اليوم في مجتمعاتنا الاسلامية ، ما هو موقف الشعوب الخاضعة لاعلام السلطات من الثوار والمجاهدين ؟ !

إنه الرفض والعداء حتى تتبين لهم الحقائق . . ففي ايران قبل الثورة كان الكثير من الناس (يصطادون) المجاهدين العاملين ويقدمونهم الى اجهزة الامن باعتبارهم (قتلة ومجرمين ومخربين) وذلك لسيطرة الاعلام المضاد لهم ، واما اثناء الثورة فكانت الجماهير تحتضن الثائرين وتخفيهم وتساعدهم بكل ما تستطيع .

لذلك ولكي يتكامل التغيير المطلوب فلا بد من ازالة القـوة السياسيـة والاجتماعيـة الحاكمـة ﴿ **فقـاتلوا أئمـة الكفر** ﴾ .

ومن هنـا كان عـلى الانبيـاء (عليهم السـلام) وهم يريدون تغيـير مجتمعاتهم ان يفكـروا في ازالة الـطواغيت وأئمة الكفر .

فكان امام ابراهيم نمرود .
وكان امام موسى فرعون .
وكان امام عيسى رجال المال والسلطة اليهود .
وكـان امام محمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) ابـو سفيان وكبار قريش .

ما هو السبيل ؟

وهل كنا نتوقع ان يواجه الأنبياء هؤلاء الطواغيت الذين كانت لديهم القوة والقدرة والمال والعتاد والتخطيط ايضاً ببعض الخطب والكلمات فيسقطون عروشهم ؟ !

هل نتوقع ان يواجه رجل لا يملك شيئاً قوة طاغوت هائل وينتصر عليه دون توفير مقدمات الانتصار ؟ !

صحيح إن الله مع الانبياء والمؤمنين وإنه وعدهم بنصره ولكنه طلب منهم لكي ينصرهم ان يعدوا للعدو ﴿ ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل ﴾ وغيره، وإذا لم تكن القوة متوفرة فالله يطالبهم على الأقل بتوفير الخطة والتنظيم الجيد للمواجهة .

واستطيع القول ان الفرق الوحيد بين اطروحات

التغيير واساليب الحركات الثورية في الوقت الحاضر ، وبينها في زمن الانبياء والأئمة انما هو في الالفاظ والعبارات واما الجوهر فواحد .

كيف ؟ .

إن هناك اوجها من الشبه بين حركات الانبياء وحركات احفادهم واتباعهم الرساليين في الوقت الحاضر، هذه الاوجه قد يتصل بعضها بالمنطلقات باعتبار ان الحركات والتجمعات الايمانية الحالية تنطلق من تلك المبادىء التي حركت الانبياء والمرسلين وعلى رأسها توحيد الله سبحانه .

وقسم يرتبط بطبيعة نشوئها واهدافها حيث انها تنشأ في وسط القلوب المنكسرة والجماهير المستضعفة وتهدف الى تحريرهم واسعادهم في ظل دولة ترعاها قيم الله .

وقد ترتبط بنوعية الاعداء الذين يواجهونها فهي في كلتا الحالتين واحدة ، وقد تكون في طبيعة اساليبها باعتبار ان وسائل النجاح واحدة لا تتغير الا جزئياتها الصغيرة .

أ ـ وسط الحركات .

* إن الحركات الثورية الرسالية تنشأ وتنمو وتتكاثر في وسط الفئة المسحوقة المستضعفة ، الفئة الناقمة على الوضع السائد ، المنطلقة لتغييره .

فلا تنشأ الحركات التغييرية في وسط الفئات المترفة المرفهة ضمن الوضع السائد ، فهي لا ترضى بتغييره فضلا عن مشاركتها في ذلك .

فتبدأ الحركات هذه بالاتصال بالفئات المعارضة والمستضعفة وتقنعها بافكارها المضادة للسلطة القائمة وتقوم بالتوسع بهذا الشكل ، ويعبر عن هذا الاتصال بالجماهير واستقطابهم الى خط الحركات العاملة .

في الوقت الحاضر نرى هذا .

وفي زمن الرسل والأئمة نراه اجلى واوضح .

فالمرسلون انفسهم (عليهم السلام) كانوا من هذه الفئة ، فكل الأنبياء كما جاء في الحديث كانوا رعاة اغنام الا ادريس فإنه كان خياطا أي انهم كانوا من الفئة

المسحوقة المستضعفة ، وهذا ما أثار الاشكال لدى الكافرين المعارضين لرسالة الأنبياء وثورتهم التغييرية ، فعن النبي موسى (عليه السلام) يقول فرعون : كما جاء في القرآن الحكيم : -

- ﴿ ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾ وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول كفار قريش : -

- ﴿ وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ .

فرسالات المرسلين ودعواتهم وحركاتهم لم تقم ، ولم يشتد عودها الا على سواعد هذه الفئات ، بل لقد كان من مؤاخذات المجتمع الكافر على الرسل جميعهم لهذه الفئات خصوصا وانهم كانوا نابعين من هذه الفئات .

فترى النبي نوحا (عليه السلام) ينكر قومه عليه ان يجمع حوله (الارذلين) والفقراء ويتخذون هذا مبررا لكفرهم :

- ﴿ وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي ﴾ .

- ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ .

بل كانوا يطالبونه بطرد المؤمنين المستضعفين لكي يمكن الجلوس معه والاصغاء اليه .

وأيضاً نرى النبي صالحا (عليه السلام) كان المكذبين به يصرحون بكفرهم برسالته ، لأن المستضعفين والفقراء صدقوا بها واتبعوها :

﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا : إنا بما ارسل به مؤمنون ﴾ ، قالوا (المستكبرون) : **﴿ انا بالذي آمنتم به كافرون ﴾**[1] .

ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع كفار قريش ، فقد كانوا يستنكفون ان يؤمنوا برسالة رسول الله لأنهم يرون فيها مساواة لهم بعبيدهم ، وسيطرة من

---

(١) الاعراف آية / ٧٥ ـ ٧٦ .

قبل (الصغار) والشباب عليهم ، ولذلك فعندما جمع الرسول عشيرته في يوم الدار ، وقال لهم : ان علياً خليفتي ووصيي استغربوا وقالوا ساخرين لأبي طالب عم رسول الله : ان محمدا يأمرك ان تطيع ولدك ؟!

ب ـ وحدة العدو

إن اعداء الحركات الرسالية اليوم يتمثل في : ـ

ـ الطاغية الحاكم الذي يمثل السلطة السياسية المسيطرة على الناس ، والذي قد يكون تارة بلباس رئيس واخرى أمير مرة بلباس عربي وأخرى (يتهندم) على الطريقة الغربية وهكذا مرة يمارس الارهاب ويملأ السجون بالمؤمنين ، ويملأ الساحات اعدامات وضحايا ، وأخرى يفتح البرلمان ، و (يحسن) الى الناس ويمن عليهم بتبليط عدة كيلومترات من شوارع الحرمان والبؤس ويزيد مكافآت الموظفين . . الخ .

ـ الدين المزيف : والمسخر لخدمة السلطان ، والمؤتمر بأوامر الملك أو الامير ، (كالاسلام الامريكي) السائد في بلادنا الاسلامية الذي يحكم بقطع يد الجائع

المحروم الذي تمتد يده لتشبع بطنه ولتبقي عليه ، ويضع الخائن والسارق في أعلى منصب ليسرق الملايين ولا يستطيع احد ان يقول له (من اين لك هذا ؟) .

وهذا الدين المزيف مرة يكون على شكل عالم بلاط باع دينه للشيطان ، فيفتي حسب رغبة سيده ويتحدث عن كل شيء الا عن الاسلام واخرى على شكل اذاعة للقرآن الكريم تقام على (شفا جرف هار) فتنهار بصاحبها في نار جهنم ، يقرأ مقرئيها كل السور إلّا سورة النمل والتوبة وكل الآيات ما عدا آيات الجهاد !! وثالثة على شكل (مجلة) انيقة الورق وملونة الصور تفوح منها رائحة البترودولار ، ويرى بين اسطرها توجيه (.C. I. A) بينما تدعي هذه المجلة انها تتحدث ليقرأها (المسلمون) !!

ـ الوجاهات الاجتماعية الفاسدة ، الذين يحاولون جهد امكانهم الحفاظ على مواقعهم المالية والاجتماعية في ظل دولة الطغيان والنفاق وهؤلاء قد يكونون تارة بشكل عمدة المحلة او التاجر الكبير او حاشية فاسدة او شيخ نفطي يلحق بالامراء ، وهؤلاء جميعا يمثلون

دور الناصح للناس ، والمحافظ على مصلحته !!

هذا الثالوث الخبيث الذي يواجه الحركات الرسالية هو نفسه الذي كان يواجه الانبياء في ثورتهم التغييرية ففي زمن النبي موسى (عليه السلام) كان نمرود : الطاغية الحاكم وبلعم بن باعوراء الدين المزيف ، وقارون : الوجاهة المالية الاجتماعية وكذلك الامر بالنسبة لبقية الانبياء والمرسلين كان هذا الثالوث المتحد العقبة الرئيسية التي على الأنبياء تحطيمها وإزالتها .

والرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يواجه هذا الثالوث وظل يصارعه حتى وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) فالبطون العشرة الحاكمة التي بيدها السلطة السياسية والوجاهة الاجتماعية وحتى الدين المزيف المتمثل في عبادة الاصنام وصيانة الكعبة وغسيلها وتبديل الكسوة وسقي الحاج .

في التاريخ الماضي وفي الوقت الحاضر الحركات الرسالية التي قادها الانبياء آنئذ ، أو التي يقودها المؤمنون الرساليون حالياً ، تواجه نفس العدو وان اختلفت مظاهره وصوره .

واصحابه : وهذا يعني . . انـه يفضل حمـاية نفسـه على حماية الدين . . وكلا الخيارين كان يرفضهما .

اذن لا بد من طريق ثالث ، يوفق بـين وجود العمـل الـرسالي المعـارض ، واستمراره بعيـدا عن التصفية . . لذلك لجأ الامام (عليـه السلام) الى التقيـة . فالـظاهر من حيـاة الامـام السجـاد البكـاء والـدمـوع والحـزن ، وادعية الصحيفة السجادية و(زين العـابدين) . . هـذا هو الظاهر المعروف للسلطة .

في نفس الوقت كان الامام يحفر قبر الأمويـين بصورة سـريـة . . وتحت غــطاء محكم من التقيـة كــان يحـرك التـوابين ، وزعيمهم سليمـان بن صرد الخـزاعي للثورة على الأمويـين تلك الثورة التي كـانت نتيجتها المـأساويـة الدامية ، المسمار الأول في نعش الطغيـان الأموي ، ثم يؤ يـد المختار بن أبي عبيـدة الثقفي ليفجر ثـورتـه رافعـاً شعار (يا لثارات الحسين) .

كل هذه الخيوط كان يحركها الامام السجاد بيديه من بعيد وتحت ستار التقيـة ، لكيلا يكشف العـدو حتى ان جماعة من اهل الكوفة أتوا لكشف ارتباط المختار بالامام

السجاد ، فسألوه : ـ هل المختار منكم ؟! .

غير ان الامام كان اذكى منهم ، فاجابهم بجواب دبلوماسي رائع . . لم ينف العلاقة بينه وبين المختار ، ولم يثبتها . لأنه اذا نفى هذه العلاقة حكم على حركة المختار بالموت من الناحية الجماهيرية ، واذا اعلن عن وجود العلاقة اعطى للأمويين المبرر الكامل لتصفيته باعتباره متآمراً على الدولة وخارجا على الحاكم !!

ويأتي المؤرخ وهو لا يعرف هذا الترابط في شخصية الامام . . فلا يستطيع التوفيق بين (زين العابدين . . صاحب الدعاء والمناجات) وبين علي بن الحسين الذي يحرك ثورتين تهز عرش بني امية بعنف . . لأن الامام كان يستخدم التقية الكاملة في تعامله مع الثورات وقياداتها ، ولهذا لا نرى العلاقة واضحة ، فيقوم بعض المؤرخين بانكار دور الامام في هذه الثورات وامثالها .

الامام الباقر والتقية :

القاريء لحياة الأئمة (عليهم السلام) يرى ان كل امام تميز بدور مارسه في حياته حسب حاجة الأمة لكل دور من هذه الأدوار . فمثلا الإمام الباقر والصادق اهتما

بـالجانب الثقـافي ، وعملا عـلى بلورة الأحكام الشـرعية الاسـلامية . . ولكن هـل كـان هـذا هـو دورهمـا الوحيد ؟! .

لا يمكن . . فمن غـير المعقول ان يقـوم الامام الـذي يتحمل مسؤولية التغيير الشامل للأمة سياسياً واجتماعياً ودينيـاً . . من غـير المعقـول ان يـوقف جـانب العمـل السيـاسي المضاد للسلطة قـائلاً : كفى . . نعم للعمـل الفكري فقط !!

صحيـح كان الأئمـة ـ في بعض ادوارهم ـ يـركـزون على جانب من الجوانب غير ان هـذا لا يعني انهم تركـوا بقية الجوانب الأخرى . . وانما يعني انهم حـولوا طـريقة العمل الى طريقة ثانية .

الامام الباقر (عليه السلام) كان عن طريق تدريسـه لمئـات التلاميـذ يربي جيـلاً من العلماء الذين سيحملون راية المعارضة السياسية في المستقبل . . وكان هذا يتم في حلقات تدريس القـرآن والفقه والأصـول . ويربي اخـاه زيـد الشهيـد بشكـل يجعله ينـطلق بثـورة عـارمـة ضـد السلطة . . وكل هذا تحت غطاء العمل الثقافي .

الامام الصادق والتقية :

ها هو زيد بن علي بن الحسين يتحرك ، ويفجر ثورته في الكوفة ، وتلحق به جماعات كثيرة من العلماء ، والفقهاء من كافة الفئات . . ولكن ما بال جعفر بن محمد الصادق لا يكون معه ؟! ما باله وهو يرى عمه يثور ، ومع ذلك لا يسل السيف من غمده ؟!

تنتهي الثورة ويقتل زيد الشهيد ويصلب في كناسة الكوفة . . ويأتي كاتب ليقول ان الامام الصادق لم يكن يجند الثورة ، بل كان ضد ثورة زيد ولذلك لم يخرج معه !!

لا يدري مثل هذا الكتاب ان الذي اعطى ساعة الصفر لقيام ثورة زيد هو الامام الصادق . . الأمر الذي لم يكن معروفاً وقتها ، وعرف فيما بعد في عهد الامام الرضا عندما ثار زيد النار في الكوفة فقبض اليه وجيء به الى الامام الرضا . . وكان المأمون جالساً ، فربط بين ثورة زيد النار الذي احرق الكوفة ، وبين زيد الشهيد فقال له الرضا : (يا هذا لا تقس زيدا بزيد بن علي فان ابي الكاظم حدثني عن ابيه الصادق : انه قال :

رحم الله عمي زيدا فلو ظفر لوفى انه دعى الى الرضا من آل محمد ، ولقد استشارني في امر خروجه فقلت له : ان شئت ان تكون المصلوب بكناسة الكوفة فدونك ذلك)[1] .

الامام الصادق يقول انه ـ زيد ـ (استشارني في امر خروجه) . . وعندما اعطى له الامام الضوء الأخضر فجر ثورته .

بل ان الطغاة في زمن الأئمة كانوا يعرفون ان هناك علاقة ما بين الأئمة وبين الثوار ، ولكنهم يريدون ان يضبطوهم متلبسين !! لذلك فعندما ثار محمد (ذو النفس الزكية) واخوه (ابراهيم بن عبد الله) وقضى المنصور العباسي على ثورتيهما . . عمد الى منازل الامام الصادق في المدينة فاحرقها . . ثم اشخصه اليه وهدده بكلام عنيف جاء فيه انه ينتظر ان يتحرك احد « منكم » ليلحقه بمحمد واخيه !!

وعندما تشتد المراقبة ، ويزداد عدد جواسيس

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر الجزء الثاني ص ٤١٤ .

العباسيين الذين يراقبون حركات الامام واتصالاته باصحابه ، يعمد الامام الى توصية اصحابه باقلال مجيئهم اليه ويعين احدهم كواسطة لنقل الرسائل بصورة سرية . . فكان هذا الرجل يأتي على شكل بائع خضار متجول ، ويصيح في الطرقات على بضاعته ويدخل بعض البيوت ليبيعها ما تحتاج من الخيار وغيره ، الى ان يصل بيت الامام فيدخل ، ويخرج الرسائل من بين الخضار ليعطيها للامام .

هكذا كان الامام الصادق في تأكيده وتشديده على التقية حتى شكل ميليشيا عسكرية سرية اوكل قيادتها الى ابنه اسماعيل الذي كان متنكرا في زي تاجر ويبحث وراء الأموال والترف !! وكان يحتمل ان يفجر الامام ثورة ناجحة تقضي على الحكم الأموي ولكن مخالفة بعض اصحابه للتقية افشلت العملية . . استمع الى الامام يقول :

(. . . فلا تعجلوا فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فاذعتموه فاخره الله والله مالكم سر الا وعدوكم اعلم به منكم)[1] .

---

(١) تحف العقول لابن شعبة ص ٢٢٩ .

فهـو يؤكد ان الأمـر ـ الثورة ـ كـانت قريبـة ، ولكن بمخالفة التقية والكتمان « اخره الله » .

الامام الكاظم والتقية :

بالرغم من ان الامام الكاظم (عليـه السلام) قضى فترة طويلة في سجون السلطة العباسيـة يصل الى (١٤) سنـة بالـرغم من ذلك كـان يحرك اتبـاعه واصحـابه من داخـل السجن ومن خـارجـه (وسـوف نتعـرض لعمـل الامام في السجن في بحث مستقل) .

فهـو يحـرك عـلي بن يقـطين ـ احـد اصحـابـه ـ لكي يتسلل الى مواقع القـوة والنفوذ في الحكـومة العبـاسية ، ليخـدم ثـورتـه من خـلال هــذه المـواقــع ـ وسيـأتي في الصفحـات القادمـة ـ دون ان تدري السلطة العبـاسيـة بـاتصالاتـه بالامـام الكاظم ولا بنـوعيتهـا . لأنهما كـانـا يمارسان التقية والتكتم في هذه الاتصالات .

وقبل ان يقوم الحسـين بن علي (شهيـد فخ) بثـورته فـانـه يـرى ان من واجبـه ان يـذهب ليستشـير الامــام الكاظم حول مـوضوع الثـورة . . وقتها وخـططها وغـير ذلك فيقول له الامام : (يا ابن العم انك مقتول فأحـد

الضراب وان القوم فساق يظهرون ايمانا ويضمرون نفاقا وشركا) . ولم تكن السلطة تعلم ـ تفصيلاً ـ بوجود علاقة على هذا المستوى .

وفي مرة ثالثة . . حينما يعلم الامام ان صفوان الجمال يكري جماله لهارون العباسي فانه يعاتبه في ذلك ويأمره بالكف عنه ، فيسأله ما العمل ؟! .

فيقول له : ـ بع جمالك . وفعلا ذهب لبيعها وعندما علم هارون بذلك سأله عن سبب بيعها فقال له : اني قد كبر سني ولا طاقة لي عليها .

فنظر هارون اليه بشزر وقال : لا والله اني اعلم من اشار عليك بذلك !!

ففي هذه المواضع وفي غيرها كان الامام ينسق جهوده مع الثورات بشكل دقيق وسري ، ويدفع باصحابه الى التسلل ، ويحرك المجتمع ضد السلطة ، ويستخدم في كل ذلك التقية ، فلا يترك دليلاً يدينه لدى السلطات .

الامام الرضا والتقية

في عهد الامام الرضا (عليه السلام) حيث قوّي التحرك السياسي المضاد للسلطة العباسية وزاد التفاف الجماهير حول الامام اراد المأمون تطويق النشاط السياسي للامام وذلك عن طريق جعله وليا للعهد حيث يكون في متناول اليد ، مراقبته في تحركاته واتصالاته ، خصوصاً عندما يكون خادمه او مرافقه جاسوساً . . بالاضافة الى اشغال وقته بمهام الوظيفة الجديدة ، غير ان الامام رفض ذلك وعندما اجبر على ولاية العهد شرط ان لا يقوم بأي عمل رسمي فأبطل هدف المأمون في اشغاله بولاية العهد ومن جهة اخرى فوت على المأمون مقصده عندما كرس التقية وعمقها في سلوكه ، فتراه يدعو العلويين للثورة على العباسيين . فيخرجون من خراسان متجهين الى بغداد غير ان دوريات الأمن العباسية كانت بانتظارهم على مشارف خراسان .

وعندما رأى المأمون ان الامام الرضا تجاوز حواجز المراقبة المفروضة عليه ، عمد الى التخلص منه ، وكذا كان حال الامام الجواد (عليه السلام) . فان المأمون

قـربه منـه وزوجه ابنتـه لكي يضعه تحت مـراقبتـه ، في بغـداد غير ان الامام الجواد قفل راجعا الى المدينة وبذلك تخلص من مراقبة المأمون وظل يمارس نشاطه في المدينة .

الامام الجواد والتقية

كـما كان حـال الرضـا ، كذلـك حاول المأمـون مـع الامـام الجواد فقـد قربـه منـه وزوجـه ابنتـه لكي تنقـل اخبـاره الى ابيهـا المـأمـوز ، وجعله في بغـداد لهـذا الغرض ، غير ان الامام اقفل راجعـاً الى المدينـة تخلصاً من مراقبة المـأمون لـه ، وظل يمـارس نشاطـه السياسي والفكري في المدينة وكانت له اجتماعـات سريـة خاصـة ببعض صحـابتـه ، عـودهم فيهـا عـلى التـزام التقيـة . ونستـطيع ان نجـد ثمرة عمـل الامام هـذا بعـد وفـاتـه (عليه السلام) ، في الطريقة التي اجتمـع فيها اقـطاب الشيعة لمعرفة من هو الامام .

فقد روى الحسين بن محمد عن الخيراني عن ابيـه قال الخيراني :

لمـا مضى ابـو جعفـر الجـواد (عليـه السـلام) . . لم يخـرج ابي من منـزلـه . . واجتمـع رؤسـاء العصـابـة

(القيـاديين) عنـد (محمد بن الفـرج) يتفاوضـون هذا الأمر . فكتب محمد بن الفرج الى ابي يعلمه باجتماعهم عنده وانه لولا مخافة الشهرة (خوفا من انكشاف اجتماع الأقطاب) لاتى معهم اليه ، ولكن الأمر هكذا فيسأله ان يأتيهم ، فركب وسار اليهم فوجدهم مجتمعين عنـده . . الخ الرواية [1].

في هـذه الروايـة نرى التـزام صحابـة الامـام الجـواد بالتقية بشكل كامل . . حتى انهم لظروف امنيـة يغيرون مكان الاجتماع الذي كان بيت الخيراني نفسه ويـطلبون منه المجيء الى بيت آخر خوفاً من الشهرة والانكشاف .

الامام الهادي والتقية

الاعتقالات بالجملة لكل علوي . .

السجـون ضـاقت عـلى سعتهـا ، فـاستعيض عنهـا بالسراديب والمناطق المظلمة . .

القمـع بلغ مداه . . حتى لـلأمـوات والقبـور ، فلم يسلم قبر الامام الحسين من قمع السلطة .

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر / الحسيني ص ٤٧٠ ج ٢ .

كانت هذه بعض الصفات التي تميز بها حكم المتوكل الذي عاصره الامام الهادي (عليه السلام) . .

قضى الامام الهادي فترة امامته بين المدينة ، وبين سامراء عاصمة المتوكل ، ففي الفترة التي كان يقيم في المدينة بدأ الامام نشاطه الذي استقطب اهل المدينة بشكل كامل وكان الإمام يراقب في ذلك خطوة بخطوة . . فلما بلغ الأمر حد الاستقطاب الكامل ارسل احد عناصر مخابرات المتوكل رسالة اليه . . جاء فيها ما يلي :-

(من بريحة الى المتوكل . . امير . .
اما بعد فان كان لك حاجة بالحرمين فاخرج منهما علي بن محمد فانه قد دعى الناس الى نفسه وتبعه في ذلك خلق كثير) .

وعندما وصلت هذه الرسالة ، مع تقارير اخرى عن نشاط الامام الخفي في المدينة ، اشخص المتوكل الامام الهادي الى سامراء .

ووصل الامام الهادي ، حيث فرضت عليه الاقامة الجبرية في منزله ، ووضع تحت المراقبة الدائمة ليل

نهار ، وكان منزل الامام يتعرض لحملات تفتيشية مباغتة ، بحثاً عن المال والأسلحة . ولكن هل اوقف هذا عمل الامام . . كلا ؟! انما مارس ذلك بشكل سري ، واوصى اتباعه على تجنب الشهرة والتزام العمل السري والتقية في هذه المرحلة الحرجة .

ارسل اليه احد اصحابه يسأله عن الفطرة ، مقدارها وكيف يحملها اليه فكتب اليه الامام : « الفطرة قد كثر السؤال عنها ، وانا اكره كل ما ادى الى الشهرة فاقطعوا ذكر ذلك واقبض ممن دفعها اليك وامسك عمن لم يدفع »[1] .

نرى الامام ها هنا يرفض الاجابة على السؤال ويؤكد على التزام التقية في هذا ، وانه يكره كل ما ادى الى الشهرة وانكشاف مصادر التمويل ، وبالتالي انكشاف نوعية العلاقات التي تربط الامام باصحابه ووكلائه . وفي سبيل ذلك نراه يستخدم مع اصحابه اسلوب الرمز فلا يتحدث اصحابه ـ فيما بينهم ـ عن

---

(١) الكافي/ للكليني ج ٤ .

الامام باسمه ، وانما يضعون رمزاً متفقاً عليه ، فيروي احد اصحابه وهو محمد بن رجاء الأرجاني قال : كتبت الى الطيب اني كنت في المسجد الحرام فرأيت دينارا فأهويت لأخذه . . الى آخر الرواية التي يذكرها الكليني في الكافي ، المجلد الرابع . .

فبدلاً من اسم الامام نراه يستخدم كلمة (الطيب) تقية . وآخرون يستخدمون كلمة (العبد الصالح). او كلمة (الشيخ) او غير ذلك . . لكيلا ينكشف الامام وعلاقاته معهم .

وعندما تحاول السلطة تشويه الفكر الاسلامي بتشجيع الغلاة ، والمرتزقة ليرووا عن الأئمة احاديث كاذبة تجعل الأئمة في مصاف الآلهة نرى الامام يعلن براءته منهم ويحاول عبر طرقه السرية الخاصة ان يتخلص من الخطرين منهم . . فنجده يخطط لاغتيال احد كبارهم الخطرين المسمى فارس بن حاتم ، حيث نصحه الامام فلم ينتصح ، وتبرأ منه فلم يرتدع ، فدبر له عملية اغتيال سرية ناجحة قضى عليه . وذلك بان امر شخصا يسمى (جنيدا) باغتيال ذلك الرجل المغالي

وفعـلا تربص بـه حتى قتله [1]. ولأن تخطيط الامـام في هذا كان سـريا ، وملتـزما للتقيـة لذلـك لم يكشف امام السلطة .

الامام العسكري والتقية :

كان في حسابات السلطة العباسيـة ان المهدي الـذي (سيملأ الأرض عدلاً بعـد ما ملئت جـوراً) قد قـربت ايامه ، فهم يعـرفون انـه الثاني عشـر من الأئمة ، وهـا هي النـوبـة قـد وصلت الى الامـام الحـادي عشـر . . فشـددوا مراقبتهم عـلى الامام العسكـري باعتبـاره والد المهدي ، ولكي يروا اقطاب المتصلين به .

وامام هذا قام الإمام بعملين :

١ ـ اخفى امر ولادة الامام المهدي عن الناس سـوى بعض خاصته الخـاصة والى أواخـر حياتـه لم يكن الكثير يعلمـون من هو المهـدي ، سوى القلة من اصحـابـه ، يرونه لفترة قصيرة . . احتياطا من انكشاف امره . حتى ان خادم الامام لم يعلم بولادة المهدي ووجوده .

---

(١) سيرة الأئمة الاثني عشر/ هاشم الحسيني ج ٢ .

٢ ـ قام بتقليل اتصالاته المباشرة مع اتباعه وحولها الى اتصالات غير مباشرة لكيلا ينكشف هؤلاء الأتباع ، وفي هذا المجال قام الامام بتعيين وكلاء له يتصل بهم الشيعة في مختلف المناطق ولا يتصلون به . حتى اعتاد الناس على الاتصال به عن طريق وكلائه ، الذين كانوا بدورهم يتصلون بالامام بشكل سري .

احدهم . . (عثمان بن سعيد العمري) يحترف مهنة جديدة لأن مهمته تتطلب ذلك ، فيصبح بين عشية وضحاها سمانا يبيع الدهن ، ويحمل صفائح السمن ، يتجول في الأزقة بحثا عن الزبائن ، والتاريخ يذكر ان هذه ليست مهنته ، وانما احترفها كغطاء لعمله وهو ان يكون واسطة اتصال بين القيادة وبين الاتباع .

نراه يتخطى البيوت ، منادياً على بضاعته من (السمن الجيد) حتى يصل الى منزل الامام العسكري فيخرج الخادم ويطلب منه ان يحمل صفيحة سمن الى داخل البيت . .

وفي داخل المنزل بعد ان يأمن المراقبة وتغلق الأبواب يفتح الصفيحة من الأسفل ويخرج منها الأموال والرسائل

والأسئلة ، فيعد الامام اجوبتها كاملة ، ويصدر التوجيهات الخاصة بكل منطقة في رسالة الوكيل هناك : ويعطي لعثمان ما لديه من اوامر وتوجيهات حول الوضع السياسي القائم ثم يعيد عثمان الرسائل في الصفيحة بطريقته الخاصة ويخرج ليكمل دورة البيع .

هكذا كان الامام يعلم اتباعه التقية في طرق العمل . بل اننا نراه يذهب في بعض الأيام الى قصر الحاكم ويجلس معه لكي ينفي عن نفسه تهمة العمل المعارض للسلطة ، ويتمكن من استزادة عمله بهذا الشكل .

الامام المهدي والتقية

يرتبط ذكر الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ارتباطاً وثيقاً بالتخفي والغيبة ، وهذا راجع الى ان الظرف الذي مر عليه كان كما ذكرنا ، ظرف مطاردة وتفتيش عنه . . فقد استخدمت كل الوسائل لابقاء امره مخفياً . . فوالدته يغير اسمها بين فترة واخرى لكي تشتبه على مراقبي المخابرات العباسية ولهذا نجد الاختلاف الواضح لدى المؤرخين في اسم ام الامام . .

ومنذ ولادة الامام حتى شب ونضج لم يظهر نفسه لأحد .. حتى حان رحيل ابيه العسكري عندئذ عرف نفسه لبعض الشيعة ومنع من تداول اسمه بشدة ، لكيلا يكون دليلاً عليه .

ولكي ينجو من المطاردة والمراقبة ، تنكر في اشكال عديدة ، فذات مرة هجم جنود السلطة على بيت والده العسكري ـ وبدؤ وا يفتشون الدور بوصة بوصة بحثاً عن المهدي .. وبينما هم مشغولون بذلك واذا بالامام المهدي ـ وهو ابن ٦ سنوات ـ ينساب بينهم بخفة كالخيال ، ويخرج .

ولأن الامام المهدي لم يكن بامكانه الاتصال بقواعده الشعبية في مثل تلك المرحلة الحرجة لذلك لجأ الى اسلوب (تعيين السفراء) الذين هم بمثابة قيادات مرحلية مؤقتة للشيعة وكانوا يمارسون اقصى حالات التقية ، فقد ارادت السلطة كشفهم عدة مرات ولكنها فشلت بفضل وعيهم ، وفضل التعليمات التي صدرت اليهم من الامام (عجل الله تعالى فرجه) .

في المرة الأولى ارادت السلطة ان تدس رجلاً من

عملائها على اساس ان لديه اموالاً يريد ايصالها للامام او وكيله ، وعندما يقبض الوكيل منه الأموال يعرف لدى السلطة فيقبض عليه !!

غير ان التعليمات كانت قد صدرت للسفير المعني فانكر ان يكون له اتصال بالامام ورفض بالتالي استلام الأموال .

ومرة اخرى ، يبعد الشك عنه بشكل قاطع حينما يسأل : ايهما افضل عند رسول الله ابو بكر ام علي ؟! فيجيب بذكاء : من كانت ابنته تحته . .

وهذه الاجابة يمكن ان تحمل على الجانبين . . وتخلص بها من (المطب) الذي حفر له .

اما حياة الامام بعد السفراء فهي ارقى درجات ممارسة التقية حيث ان الامام ـ كما هو معروف ـ يعيش بين الناس ولكنه يتنكر في شخصية اخرى ، ولذلك قد يظهر لاناس لا يعرفونه الا بعد ذهابه عنهم كما ثبت تاريخياً .

هذه بعض النماذج والأمثلة التي سقناها بسرعة

واختصار ، لنتعرف على فهم الأئمة التقية ، وممارساتهم العملية لها .

* * *

وقبل ان ننهي هذه النماذج لا يمكن لنا ان ننهي الحديث دون التعرض الى مثالين اوردهما القرآن واشاد بابطالهما ، وقد تجلت التقية واضحة فيهما :

المثال الأول : اصحاب الكهف . . مجموعة من الشباب المؤمن بالله الذي كفر بطاغوته المتسلط على الرقاب . واسر ايمانه في قلبه حتى يتهيأ الظرف الأمثل لاظهار ايمانهم ، وعندما رؤ وا ان الجو قد ضاق عليهم ، هربوا بسرية كاملة الى خارج المدينة .

والمثال الآخر : مؤمن آل فرعون ، الذي كان يكتم ايمانه ويعيش في وسط البلاط وعندما كانوا يتداولون الرأي فيما بينهم في كيفية التخلص من النبي موسى (عليه السلام) نراه يخالفهم في هذا ويذهب خفية الى موسى فيخبره ان فرعون وقومه يتآمرون لتصفيته . . ولنقرأ ما يقوله القرآن في هذا الرجل .

﴿ وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني

اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الأرض الفساد * وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب * وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾[1].

---

(١) سورة غافر آية : ٢٦ ـ ٢٩ .

التقيـة في الوقت الحاضر

الكتمان

ما هي مفاتيح خروج السر في الشخصية ؟

١ ـ الثرثرة .

٢ ـ الغضب والجدال .

قواعد اساسية للكتمان .

العمل السري .

التقية في الوقت الحاضر

من الأخطاء التي وقع فيها البعض ، تحديد التقية بزمن الأئمة (عليهم السلام)، او زمن حكام الجور الذين يتعرضون للمؤمنين في دينهم ، ولذلك تراهم يناقشون : هل تجب التقية في الوقت الحاضر ام لا ؟

ومنشأ هذا الخطأ هو نظرتهم الى الجانب الديني العبادي من التقية . . ففي ازمنة الجور الماضية كان كل مؤمن يحذر ويخشى ان يمارس طقوسه العبادية كما امره الله . . انما عليه ان يمارسها كما يحدد له الطاغوت .

ونحن اذا عرفنا التقية بمعناها الشامل ، نرى انه لا

حاجة لطرح هذا السؤال، ذلك لأنها تبقى ضرورة يفرضها سعي الرساليين لتحقيق اهدافهم . . والآن لنر ما هي تطبيقات التقية ؟!

التقية لها جانبان :

١ ـ الكتمان .

٢ ـ العمل السري .

وقد يبدو للوهلة الأولى ان كلا الأمرين شيء واحد ، غير ان هناك فرق دقيق بينهما .

الكتمان

هـو المـرحلة الأولى للتقيـة . ويمثـل الجـانب النفسي الذي يجب توفره لدى الفرد الرسالي العامـل ، فلا يمكن للعمـل ان يبقى سريـا ما لم تخلق النفسيـة الكتومـة التي تحفظ سـر قضيتهـا في داخــل الأعمـاق . ولأنــه يعتبـر المرحلة الأولى في مراحل سرية العمل لذلك فان نجاحـه يعني نجاح الخطوات التالية ، والعكس صحيـح ، فكم من الدعوات والحـركات فشلت نـظرا لعدم التـزام احد العاملين فيها بالكتمان .

فليس غـريبا ان نـرى الامام الصـادق ، وهـو يعيش ظرفاً سياسياً متميزاً ويعد العـدة للثورة . . التي لـو اتيح

لها النجاح لغيرت مجرى التاريخ الاسلامي في ذلك الظرف كان يوصي اتباعه بالتكتم ، وعدم افشاء السر حتى يلقي خطبة كاملة على ابن النعمان (مؤمن الطاق) تدور حول هذا الموضوع .

وفي هذه الخطبة نرى الامام يضع معادلات عملية واضحة النتائج :

* افشاء السر (عدم الكتمان) = تصفية القيادة + انهيار العمل .

١ - (يا ابن النعمان : ان المذيع (للسر) ليس كقاتلنا بسيفه ، بل هو اعظم وزرا بل هو اعظم وزرا بل هو اعظم وزرا)[1]. لماذا ؟!

لأن القاتل بالسيف ، قد يستطيع تصفية احد الرؤوس القيادية ، او مجموعة من الأفراد ولا يستطيع اكثر من ذلك . . فيستمر العمل بحماس اكثر ، في نفوس البقية ، ويحاولون تحقيق النصر ، بأيّ ثمن كان . بينما اذا اذاع احد العاملين سرا يتعلق بطبيعة العمل ،

---

(١) تحف العقول/ ص ٢٢٨ من وصية الامام الصادق لابن النعمان .

او الوسائل او علاقات القيادة بالأفراد ، او ببعض اسماء العاملين . . سواء كان ذلك بالترغيب والأموال او تحت سياط التعذيب . . فان النتيجة ستكون : تصفية جسدية للرؤوس والكبار . واعتقال للضعفاء وتعذيبهم حتى يعترفوا على اخوانهم . . وهكذا تكر السبحة في بقية العاملين ومن جهة العمل يستطيعون مقاومته بشكل جديد بعد ان عرفوا وسائله في العمل والتحرك .

والنتيجة = تصفية القيادة + انهيار العمل .

* افشاء السر = العذاب في الدنيا قبل الآخرة .

٢ ـ (يا ابن النعمان : من استفتح نهاره باذاعة سرنا سلط الله عليه الحديد وضيق المحابس) .

يتصور البعض من الضعفاء انه لكي يدرأ التهمة عن نفسه ، وينجو من السجن والتعذيب لا بد ان يخبر السلطة عن النشاط الذي يقوم به العاملون . . . وعندما يخبر السلطة فانها سوف تتركه ولن تتعرض له لتعاونه معها . . وهذا خطأ كبير . .

ذلك ان السلطة لا تثق في احد على الاطلاق ، ولن تأخذ (تعاون) هذا الرجل بمأخذ حسن ، فهي تتصور

انه يريد ايقاعها في كمين ، فيزداد شكها فيه . . والا (لماذا اخبرنا ؟ !) .

بالاضافة الى ذلك تتصور السلطة ان هذا الرجل يعرف معلومات اكثر مما اعطى ولذلك يجب الحصول عليها ، ولأنه لا يتجاوب في كل شيء (لعدم معرفته بكل شيء) لذلك تقوم السلطة بتعذيبه لكي يعترف بالمزيد . . وهكذا يظل في السجن تحت التعذيب الشديد لكي يعترف بأشياء لا يعرف عنها . والسبب في ذلك كله : انه تبرع بافشاء سر الى السلطة .

الامام الصادق يقول : ان الذي يبدأ يومه لكي ينجو من مضايقة السلطات باذاعة اسرار العمل الرسالي ، فان الله يسلط عليه الحديد ، وآلات التعذيب ، ويبقى في السجون الضيقة .

اذن فالكتمان هو اللبنة الأولى في بناء العمل الرسالي ، فلا بد اذن من تركيز الكتمان في نفوس العاملين . . كيف يتم ذلك ؟ ! .

اذا اردنا ان نغرس روح الكتمان في نفوس العاملين ، فعلينا ان نعرف :

ما هي مفاتيح خروج السر في الشخصية ؟!

عندما يعرف الانسان احد الأسرار الهامة ، يظل يلوج في رأسه لفترة طويلة يفتش عن ثغرة ليخرج منها ، فاذا كان المرء قويا ، ومتحكما في نفسه ، مسيطرا عليها . فان السر لا يجد مخرجا له فيستقر . غير ان البعض قد يكون ضعيفاً ، لا يتحكم في نفسه ، اي الثغرات مفتوحة ، فيأتي هذا السر ، ويخرج بكل راحة وهدوء دون ان يشعر الا بعد فوات الأوان . . هذه الثغرات هي :

١ ـ الثرثرة :

من قواصم شخصية المرء ان يكون ثرثاراً ، لا يملك لسانه . . ومن كان هكذا فلا يؤمل منه خير ترى بعض الأفراد هذه حالتهم . يملك بثا مباشرا طوال الوقت وبدون توقف ، فهو مستعد لأن يتكلم ويتكلم ويتكلم الى ما لا نهاية حتى لو كان الموضوع تافها ولا يستحق البحث والحديث فيه .

واول الثغرات التي تنفذ منها اسرار المرء ،

واوسعها ، واخطرها هذه الثغرة . . ذلك ان الثرثرة تكشف عن عدم سيطرة الفرد على لسانه وبالتالي على كلامه ، فهو مرشح لأن يتحدث عن كل شيء يحمله . وقد يكون بلا تعمد ، ولكن نفسيته هكذا تعطيه السر لكي يحفظه ، ولكنه يأتي في محفل ، ويبدأ في حديثه ، وثرثرته الى ان ينتهي (المخزون الكلامي) العادي فيستعمل (الاحتياطي) الذي يكون سرك جزءاً منه . فـ (من كثر لغطه كثر غلطه)[1] .

لذلك نلاحظ تأكيد القرآن الكريم ، واحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة (عليهم السلام) على مواضيع تتعلق بهذا الأمر : موضوع حفظ اللسان ، موضوع الصمت . .

استمع الى حديث الامام الصادق (عليه السلام) :(ان هذا اللسان مفتاح كل خير وشر ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وفضتك)[2] و(لسانك

---

(١) الامام علي في نهج البلاغة .
(٢) الكافي الجزء الثاني ص ١١٤ .

بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) .

هـل كنا نتـوقع أن يـواجه الائمـة (عليهم السلام) هذه الدولة وإحلال (الدولة الكـريمة) مكـانها ، ببعض الخـطب والكتابـات والتوجيهـات والنصائـح التـربـويـة فقط ؟!

الإمـام عـلي (عليــه الســلام) يقــول : إن القيـام لإسقاط الطاغـوت لا بد أن يتم بنفس الخـطة ، وبنفس التنظيم والإستراتيجية التي قام الـطاغوت عـلى أساسهـا مع الإختلاف في التفـاصيل ، لأن عـوامل النجـاح هي واحـدة ، وأسباب النصـر لا تختلف لدى المؤمنـين عنها لدى الكافرين في شيء إلا في بعض التفاصيل .

وكـما يقول السيـد عبد الحسـين شـرف الـدين(رحمه الله) :(لا ينتشر الهدى إلا من حيث إنتشر الضلال) .

وكـان من اللازم والأئمـة يـواجهـون حكـماً كـالحكم العبـاسي قائـماً على حـركة عـريقـة في التقـاليـد والفكـر التنـظيمي السري ويعـرفـون الكثـير من الأسـاليب والوسائل في هذا المجال ، ولهذه الحركة انتشار واسع في

صفوف الجماهير ، على الأقل في بدايتها وقبل أن يكشر الحكام العباسيون عن أنيابهم

لا شك أن الأئمة وهم يفكرون في تغيير الوضع والحكم القائم أن يكونوا حركة أكثر تنظيماً وأشد ترابطاً وأعمق كتماناً وسرية من الحركة العباسية لكي يستطيعوا التغلب عليها .

الفصل الثاني

الكيان الرسالي . . . تجمع معارض

الكيان الرسالي . . تجمع معارض

وهو لهذا السبب يتعرض لخطرين :

الأول : العدو الخارجي الذي يتمثل في الحكام الطواغيت والفئات المنتفعة ببقائهم وخطر هذا العدو ناشيء عن أنه يمتلك ـ في العادة ـ السلطة السياسية ويمارس الضغط الإجتماعي عن طريق (الكبار) والملأ ويحاول هذا العدو بأساليب مختلفة أن يقوم بتحطيم هذا الكيان أو تحجيمه وتقزيمه ليجعله أقل قدرة على التحرك والعمل . .

الثاني : العدو الداخلي : الذي يتمثل في « تآكل الكيان داخلياً » ويجعله غير قابل للإستمرار والإستقامة ومعرضاً للكشف أمام الأعداء ، ويحمل في داخله بذور نهايته .

ماذا يعني التآكل الداخلي ؟؟

إنه يعني عدم قدرة أفراده على الإنسجام بينهم وبين العمل الذي يقومون به ، بينهم وبين بعضهم البعض ، يعني أن الفرد لا يحس أنه « قطعة » لا تتجزأ عن بقية هذا الكيان . يعني نمو السلبيات الصغيرة تدريجياً حتى تتحول الى « قرحة » تغطي على كل الإيجابيات الأخرى . . يعني أن كل فرد فيه يتصرف بمعزل عن قيادته في كل شؤونه أو بعضها المرتبط بالعمل .

وهو بهذه الأبعاد يشكل خطراً يفوق خطر العدو الخارجي لأنه حتى مع قوة هذا الكيان وكثرة أفراده ونشاطه المتواصل يبقى ضعيفاً وغير قادم على التقدم . .

من هنا نعرف ما للعلاقات الداخلية للكيان الرسالي من دور . . إذ انها من جهة تجعل من العسير على العدو الخارجي أن يوجه لها الضربات ومن جهة أخرى لأنها لا تسمح للتآكل بأن ينشأ في داخل الكيان . .

وأيضاً تحدد مدى مرونة الكيان الرسالي وقدرته على

التخلص من الضـربـات ضمـن تكـتيكـات جيـدة وفعالة . .

لـذلك سـوف نحاول التعـرف عـلى العـلاقـات التي تحكم افراد التجمع الـرسالي والتي يتحـدث عنها الأئمـة (عليهم السلام)، وبالـذات الصادق (عليـه السلام) لكي يمكن للرساليين الاستضاءة بهذه القواعد في عملهم وتحركهم لتحقيق حكم الله .

ويلاحظ اننا سـوف نختار خـطبتين لـلإمام الصـادق (عليـه السلام) تتحـدثان عن هـذه القـواعـد ، وربمـا يكون هذا محل تساؤ ل ، فلماذا نختار خطبتين للصـادق (عليه السلام) لا لغيره من الأئمة ؟ .

والجواب له جانبان ، مـوضوعي بـاعتبار أن الخـطب الأخرى قد تتعـرض لهذه الجـوانب ولكن هذا التعـرض يكون سريعـاً وضمن وصايـا أخرى عـامة ، بينـما طبيعة هـاتين الـوصيتين ، تبـدو أنها في هذا الإتجـاه ، فالإمـام الصادق كانت وصيته لإثنين من قادة الثورة مؤمن الطاق

ابن النعمان ، وابن جندب ، فلا بد ان التركيز فيهما سوف يكون حول مواضيع العمل والتحرك وأولهما قضية العلاقات الداخلية التي لا بد أن تسود التجمع الثوري الرسالي .

والآخر تاريخي ، ذلك أن حركة الجماهير الإسلامية الثائرة بقيادة الأئمة كانت في عهد الإمام الصادق في عنفوانها ذلك أن تضحيات أمير المؤمنين والحسن والحسين وأدعية الإمام زين العابدين وفكر الإمام الباقر والصادق تجمعت كلها لكي تعطي لها عنفواناً وحيوية ، خصوصاً وأن الظروف في عهد الإمام الصادق (عليه السلام) كانت مهيأة ، فالدولة الأموية في النزع الأخير ولما يتمخض الأفق عن حكومة العباسيين . . . لذلك نلاحظ أن الأحاديث الواردة حول الشيعة والتشيع . . حول التقية والتكتم . . . حول الطاعة والإلتزام . . حول القيادة الصحيحة والباطلة . . . كثيرة جداً في زمن الإمام الباقر والصادق والكاظم حيث وصل العمل آنئذ الى درجة كبيرة من التقدم .

فلنأخذ ـ عزيزي القارىء ـ جولة سريعة في العلاقات

الداخلية للكيان الرسالي من خلال وصيتـه لمؤمن الطاق وابن جندب [1] .

---

(١) اثنان من كوادر الحركة الرسالية وقادتها كانا بمثابة الرابط بين القيـادة المتمثلة في الأئمة (عليهم السـلام) وبين الجمـاهـير الثائرة ، يستلهمون من الأئمة الوصايا والخطط لكي يحولوها الى اوساط الناس . . وبالاضافة الى قيامهم بهذا الدور كانوا يمارسون مهنا اخرى ، لتغطية عملهم الاساسي .

السرية في العمل

كما سبق الحديث أن الكيان الرسالي تجمع معارض ، فهـو يتعرض لضـربـات الحـاكم الـظالم ، ولأنـه يـريـد مواصلة عمله ونشاطه حتى يصل إلى اهـدافه إذ لا تثنيـه عقبات الطريق وصعوبة السـير لمبدئيتـه لذلـك لا بد من ممارسة التقية التي تعني العمل السري .

ومن الملاحظ ان الأئمة يركزون عـلى : سريـة العمل في اماكن كثيرة وبالفاظ متعددة ، فتارة باسم التقية :

(التقية ديني ودين آبائي) .

(لا دين لمن لا تقية له) .

(ان التقية جنة المؤمن) . . الخ .

واخرى باسم عـدم الإذاعة : إن الله عـير اقوامـاً في

القرآن بالاذاعــة فقال : ﴿ **وإذا جـاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به** ﴾[1].

(المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا) .

(يا ابن النعمان : ان المذيع ليس كقـاتلنا بسيفـه بل هـو اعظم وزراً ، بـل هو أعـظم وزراً ، بل هـو أعظم وزراً) .

(يـا ابن النعمان : من استفتـح نهاره بإذاعـة سـرنـا سلط الله عليه حر الحديد وضيق عليه المحابس) .

(يا ابن النعمان : اني لأحدث الرجل منكم بحديث ـ قضية من قضايا الثورة ـ فيتحدث به عـلي ، فاستحـل بذلك لعنته والبراءة منه) .

(يا ابن النعمان : ان من روى علينا حديثنا فهو ممن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطأ . .) [2].

والتركيز في هذه الأحاديث وغيرها على ضرورة التقية

---

(١) النساء آية / ٨٢ .

(٢) تحف العقول ص ٢٢٣ .

والعمل بصورة سرية ينبع من الفوائد التالية :ـ

١ ـ السرية تؤمن الإستمرار في العمل من قبل القائمين به ذلك أن الذي يريد القضاء على الكيان المؤمن لأنه في صراع وجود معه . . يحاول بشتى الوسائل اكتشاف افراده ليسهل الإجهاز على كامل الكيان .

فهو يقوي جهاز مخابراته ويعززه بالرجال ، وينفق عليه الأمول الطائلة لهذا الغرض .

وهو يتعاون مع بقية الأنظمة والفئات المعادية للإسلام لتجمع ما تتمكن منه من معلومات عن المؤمنين المجاهدين، وهو يحاول شراء ضمائر بعض الأفراد القريبين من العمل أو المطلعين عليه ليكشف طريقة الأفراد القائمين به « ويصطادهم » وباختصار فهو يحاول بكل امكانياته ان ينهي هذا الكيان وللأبد .

في مقابل هذا . . لكي يحمي الأفراد انفسهم من محاولات العدو واحابيله من جهة ، ومن جهة اخرى لأجل أن يستمر العمل الرسالي ، وتتحرك مسيرته في المجتمع بسهولة لا بد من السرية والتقية .

لذلك نرى حركات الأنبياء (عليهم السلام) كانت تتسم ـ كاملة أو في مرحلة من مراحلها ـ بطابع السرية .

* فالنبي نوح (عليه السلام) نراه يجعل قسماً ـ من دعوته لله ـ بالغ السرية ويتخذ طابع التقية كوسيلة عمل ليصون نفسه واتباعه وحركته ويتحدث القرآن الكريم قائلاً ـ بلسانه ـ :

﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم أسرارا﴾ .

* والنبي إبراهيم كانت نشأته وولادته حتى الثالثة عشر من عمره كانت بشكل سري وقد بقي طول هذه الفترة في غار جبل . . .

وحتى حينما أراد أن يمارس الحسم مع المجتمع الوثني بتحطيم الأصنام مارسه بصورة سرية بعد أن خرج القوم إلى خارج المدينة ليوم عيدهم تعلل بالمرض لكيلا يخرج معهم ، حينئذ خرج الى المعبد وحطم الأصنام : ﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ، فتولوا عنه مدبرين ، فراغ الى الهتهم فقال الا تأكلون مالكم لا

تنطقون، فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ ٨٨-٩٣ / الصافات .

* وأما النبي موسى (عليه السلام) فإن ظروف حركته منذ البداية كانت ذات طابع سري ، فانعقاد نطفته في بيت فرعون ثم نشأته في ذات البيت ثم خروجه من المدينة (خائفاً يترقب) وقتله للقبطي ثم خروجه مع بني اسرائيل من سلطة فرعون . . كل هذه الحوادث كانت تتسلسل في شكل عجيب من السرية ، واتخاذ أفضل وسائل التقية . بل إن حياة النبي موسى كانت مرهونة بالتقية في مرتين :

الأولى : أن آسية إمرأة فرعون كانت تكتم ايمانها وهي في قصر فرعون لذلك استطاعت حماية النبي موسى ـ الطفل آنئذ ـ من القتل وتربيته ، ولو عرف عنها ايمانها لكان مصيرها ـ وموسى ـ القتل .

الثانية : هربه من قصر فرعون . . . ففي طريقه رأى قبطياً يجر إسرائيلياً يعمل عنده بالقهر ، والإسرائيلي يمتنع ﴿فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾، وفي حادثة أخرى أيضاً حاول الإسرائيلي نفسه الإستعانة بموسى ولما همّ

موسى بذلك قال له القبطي (يا موسى اتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) وهنا كشفت عملية موسى في قتله للقبطي .

وكانت خطة فرعون واتباعه تقضي بالقبض على النبي موسى واعدامه فـ ﴿ **جاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين** ﴾ . . . وكان هذا الرجل وهو يوسف النجار خازنا لفرعون وكان ملتزماً بسرية ايمانه ، حتى أنه كتم ايمانه ستمائة سنة كما في الروايات .

وفعلاً ، فقد استجاب النبي موسى (عليه السلام) لنصيحة هذا المؤمن وهرب متكتماً لكيلا يكشف أمره .

ولولا كتمان مؤمن آل فرعون لايمانه والتزامه بالتقية لما استطاع ان يوصل مؤامرة قوم فرعون لقتل موسىٰ ، ولما استطاع تحذيره .

* ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ ثورته التغييرية بثلاث سنوات مارس فيها العمل السري ، حيث كان يعقد الاجتماعات مع ثوار الاسلام

الأوائل في دار ابن ابي الأرقم وبشكل سري .

* وأئمة أهل البيت كان لهم دور بارز في هذا المجال ، فقد كانت تحركاتهم تجري في سرية تامة .

حتى إننا نرى الإمام الصادق (عليه السلام) في بعض الأحيان يتكلم لأصحابه بالرموز ولا يخبرهم عن أشياء هم يعرفونها في أحيان أخرى ، فنراه يقول لمؤمن الطاق (يا ابن النعمان : ان العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم لأنه سر الله الذي أسره الى جبرائيل (عليه السلام) واسره جبرائيل الى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واسره محمد الى علي (عليه السلام) واسره علي الى الحسن (عليه السلام) واسره الحسن (عليه السلام) الى الحسين (عليه السلام) واسره الحسين (عليه السلام) الى علي (عليه السلام) واسره علي (عليه السلام) الى محمد (عليه السلام) واسره محمد (عليه السلام) الى من اسره) . . .

إن الامام هنا لا يخبر مؤمن الطاق بما بعد الإمام الباقر (عليه السلام) فيقول : (واسره محمد الى من اسره) مع أن مؤمن الطاق يعلم به . . .

وبـالرغم من هـذا الظرف السيـاسي الضاغط الـذي يضطر الإمام للإعتصام بـالسريـة الى هذا الحـد . . مع ذلك فاتصالاتهم مع الجماهير كانت قائمة بشكل سـري دقيق ومتقن وفي المسـائل والأمـور المطروحـة في الساحـة التي تحتـاجها الجمـاهير كـانت توجيهـات وأوامر الأئمـة تصـل أولاً سواء في أوقـات الإنفراج السيـاسي أو أزمنة الكبت والتضييق .

وذلك عن طريق توصيل الخطب والوصـايا والتعـاليم من قبل الإمام للجماهير عن طريق وكلائـه ، وفي نفس الوقت كانت اسئلة وأمـوال هؤلاء تصل للقيـادة لتصب في برامج العمل . .

فمثـلاً ، عثمان بن سعيـد وكيل لـلإمـام العسكـري (عليه السلام) ومن المعروف ان السلطة العباسية كانت قد ضيقت على الإمام العسكري الخنـاق ، فقد فـرضت عليه الإقامة الجبرية في سامراء ، وبيته مـراقب من جميع زوايـاه ، معرض للتفتيش والمـداهمة في أيـة لحـظة ودون اذن . . .

ومع ذلك . .

كانت الاتصالات بين الإمام والجماهير على خير ما يرام .

فقد عمل عثمان بن سعيد العمري سمانا (يبيع السمن والدهن وكان يضع الأموال والرسائل في احدى (تنكات) السمن وكما يبيع السمن للآخرين يبيع للإمام جرار المال والرسائل حيث يدخل منزل الإمام بعنوان سمان . . يفرغ ما في جراره من الرسائل والأموال ويستلم الرد عليها ، ورسائل جديدة ، ويذهب لحال سبيله . . .

بل اننا نجد أن الإمام الكاظم بالرغم من أن قسماً غير قليل من حياته قضاه في السجن ، إلا أنه على اتصال مستمر مع أصحابه وجماهيره برغم السجن ، حيث استطاع (تنظيم) السجانين واستقطابهم الى جانبه مما أدى أن يكونوا واسطة الاتصال بينه وبين الجماهير ، وسعاة بريد يوصلون رسائله وأخباره وبالعكس .

وأخيراً . . .

إننا نجد أن الحركات التي انتصرت في اماكنها لم تنتصر إلا بعد إستخدامها السرية على خير وجه .

٢ ـ ارهـاب العدو واقـلاق راحته : ان العـدو الظالم يحـاول أن يؤمن لنفسه ونـظامـه أكبـر مقـدار من الأمن لتعويض الطمأنينة المفقودة نتيجة كون الشعب ضده .

وممارسة المؤمنين لعملهم بصورة سرية تجعل العدو في رعب دائم وفي قلق متـواصل لأنـه لا يستطيـع التنبؤ بما يحدث له غدا ولذا يتخبط في قراراته فقد يفرض اجـواء الارهاب وحملات الاعتقـال على شعبـه ويسوق البـريء والمذنب لأنه يتصور أن هؤلاء يعملون ضده بينما الواقـع ليس كذلك .

وقـد يكون العكس ، فيستـريح آمنـا ـ كما يتصـور ـ معتمدا على كفاءة وقدرة أجهزة مخابراته في قمـع وتحطيم المؤمنين المجاهدين .

وحسب قول الإمام السجاد (عليه السلام) (الحمد لله الـذي جعـل أعـداءنـا من الحمقى) تُصـوّر هـذه المخـابرات الـوضع لـه على غـير حقيقته ففئـات الشعب المعارضة تتحول الى اقليات ومجمـوعات المجـاهدين التي تنتشر في صفوف الجماهير على أنهم (فئة صغيرة مارقة) وانـه لا توجـد هنـاك أيـة معـارضـة حقيقيـة ، فيفـاجـأ

بالجموع الثائرة تدك قلاعه واحدة بعد الأخرى .

وبالضبط كما حدث في ايران حيث لم يكن الشاه المقبور يحسب حساباً للجماهير ولم يقم وزناً لقيادتها الدينية وكانت اجهزة المخابرات التي اعتمد عليها ـ بحكم بعدها عن فهم نفسية الجماهير ومقدار تأثرها بالدين ـ تطمئنه دائماً بعدم وجود خطر حقيقي ليس فقط في إيران بل أننا نجد حتى في أمريكا (الشيطان الأكبر) برزت أصوات لمحاسبة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي . آي . ايه) لأنها برغم حداثة اجهزتها وامتلاكها لآخر ما توصل إليه العلم من آلات وكمبيوترات إلا أنها فشلت في رصد حركة الجماهير ورؤ ية روح الإيمان المغروسة في النفوس ، وحتى الأيام الأخيرة لوجود الشاه المقبور كانت تقاريرها تتحدث عن (بعض الفئات المتزمتة التي لا تواكب حركة التقدم الحضاري الموجود في إيران) وكانت جماعات قليلة لا تستطيع حولاً ولا طولاً . .

ونرى أيضاً بقية الشياطين الصغار لا يصدقون ان الجماهير ترفضهم ، ففرعون مصر حينما قام أحد أبطال

الاسـلام بـرشـه بـزخـات من الـرصـاص المؤمن في الاستعـراض العسكري صـرخ وهو يتهـاوى الى مصيره الأسود (مش معقولى) .

وفي بقيـة المنـاطق الاسـلاميـة الأخـرى لا يصـدق حكامها أن في الجيش مؤمنين يحملون السلاح ويعلنـون الثـورة ضد طغيـانهم كل ذلـك لأن تقاريـر المخـابـرات واجهـزة المبـاحث بحكم كـونها بعيـدة عـما تفكـر فيـه الجماهير وعدم قدرتها على رؤ ية الجوانب الخفية والزوايا السرية في عقولهم واتصالهم بالله سبحانه يجعلها تـطمئن السلطات بأن (لا احداث ولا مظاهرات وكل ذلك انما هي دعـايا مغـرضة وكـاذبة) ولا شـك أنها من (خطط الصهيونية واسرائيل) . . .

وينتج هذا :

ان العـدو لا يستـطيـع تشخيص الـوضـع بصـورة صحيحة ومعرفـة قوة العمـل الثوري المعـارض . . ولذا فهو يعيش في حالـة غير مستقـرة اطلاقـاً يحسب حسابـه للغرب بينما تأتيه الضربة قاضية من الشرق أو العكس .

بينما إذا كان المؤمنون يهملون مبدأ السرية في العمـل

فإن بإمكان السلطة التعرف على مقدار قوتهم وبالتالي تعد القوة المناسبة لضربهم .

٣ ـ التخلص من العقبات الاجتماعية : يمارس المجتمع ـ عادة ـ ضغطاً على الرسالي المجاهد ليترك مسيرته الجهادية ويعود يساير التيار العام . . ذلك أن هذا المجتمع يحمل قيما معينة ويؤمن بافكار خاطئة وكون الفرد رسالياً يعني أن يرفض هذه القيم ويتجاوزها ليتعامل بقيم جديدة .

فبعد أن كانت اهدافه شخصية وضيقة تتحدد بتأمين المستقبل الشخصي والعائلي . . ها هي تتوسع لتشمل تأمين مستقبل المجتمع وانقاذ الأمة من الوضع الفاسد الموجود . . . وهكذا .

إن طليعة التغيير الاجتماعي والتي تبدأ عادة قليلة وصغيرة من ناحية العدد والإمكانات تواجه وضعاً إجتماعياً راسخاً مضى عليه عشرات السنين ، أوضاعها يقوم على أساسها تعامل الناس ، وتيارا فكرياً تقبل به الأكثرية بالرغم من خطئه حتى يتحول الى قاعدة . .

وهذه الأمور كلها تحافظ على الوضع القائم الـذي تريـد الطليعة تغييره .

لذلك يقوم المجتمع بالضغط على الطليعة لكي تسير في مساره ولا تتحدى قيمه وعاداته ، ويحاول أن يـدجنها لصـالحه .

ومن هنا فالتزام المؤمنين ولفترة من المواقف بـالسريـة وعدم اعلان كل شيء على الملأ منذ البدء يجنبهم ضغطاً اجتماعياً ربما يحرجهم ويمنع تحركهم لو تعرضوا اليه .

وكذلك بالنسبة للعائلة . . فالـوالدان لخـوفهما عـلى ابنـائهم من القتل أو الاعتقـال وجهلهم بالأهـداف التي يحملها ابناؤهم يسعيان لمنعهم من العمل .

أمام هذه الضغوط .

ـ اما ان يخضع للضغوط ويستسلم لها فيتـرك العمل والتحرك وهذا ما لا يمكن . . .

ـ وأمـا ان يقاوم بصـراحة ووضـوح ، وبغض النظر عن بقيـة الملاحـظات . . الا أن هذا يؤدي الى اشغـال الفـرد بمعارك جـانبية مـع المجتمـع تشغله عن المعـركـة

الأساسية مع الطاغوت .

ـ والطريق الثالث الأفضل ، انه يقوم بجميع اعماله بسرية كاملة ، وهذا يمكنه من اداء دوره وفي نفس الوقت يكون هذا قد أعد الجو في عائلته أو وسطه الاجتماعي لتقبل افكاره .

ولقد رأينا اصحاب الأئمة (عليهم السلام) يقومون بادوارهم القيادية في مقاومة طواغيت الأمة مع انهم كانوا يعيشون في المجتمع دون أن يلاحظ عليهم الناس شيئاً من ذلك .

فأحدهم يتحول إلى تاجر . . ويمارس عمله وتحركه تحت ستار التجارة . . . وآخر يتحول الى بائع خضروات ليوصل الرسائل الى الإمام ويقوم بدور (ضابط الارتباط) . . وثالث يكون سمانا . . . وهكذا . . .

ذلك لأن اليد الظاهرة يمكن ان تقطع ، بينما الخفية لا ترى فلا يمكن ان تقطع . .

هذه هي أول دعامة للعلاقات الداخلية . . . وهي سرية العمل الرسالي .

طاعة القيادة

* حينما بعث الله الانبياء والمرسلين لهداية البشرية الى دينه ، من اجل تحقيق كرامتهم وسعادتهم ، جاء هؤلاء الانبياء بشعار واحد . . تكرر في كل العصور ومع جميع الامم هو ﴿ **اتقوا الله واطيعوه** ﴾ ﴿ **اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم** ﴾ مما كان يعني أن هناك ترابطاً وثيقاً بين تقوى الله وطاعة الرسول. ذلك أن تقوى الله وطاعة الله لا يكفي ان تكون قلبية مجردة بل لا بد ان تتجسد بشكل دائم في الخارج بطاعة رسول الله بطاعة ولي الأمر والقيادة الشرعية التي يعينها الله سبحانه بل نجد انه لا يمكن الفصل بين هذين الامرين اطلاقا ﴿ **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ . . فهناك ملازمة بين حب الله واتباع القيادة الالهية المتمثلة آنئذ في الرسول الاعظم (صلى الله عليه

وآله وسلم) واليوم في الحـركات الـرساليـة ، والقيادات الاسلامية الشرعية .

هـذا من جهـة ، ومن جهـة اخـرى فـإن مسؤوليـة الرساليين ـ كما جاء في دعاء الافتتاح إقامـة دولة يعـز بها الاسـلام ويفضح بهـا النفاق ، وتكـون مقـدمـة لـلأمـة الاسلامية الـداعية الى الخـير والآمرة بـالمعروف والنـاهية عن المنكـر ، التي يسعى لها المؤمنـون لا يمكن ان تكون كما هو واضح من نفس اللفظ الابعد وجود :

* إمام (قائد) .
* مأمومين (اتباع الجماهير) .
* وهدف .

ويؤم هؤلاء الاتباع هدفا ، ويقصدون غاية ويمشـون وراء الإمام لتحقيقها . .

حين لا يكون إمـام ، فلا يمكن لـلأمة ان تكـون ، وكذلك إذا لم يكن مأمومـون ، أو لم يكن إئتمام وطـاعة من قبل هؤلاء للإمام والقائد .

ويبرز هذا الامر بالذات في المراحل الاولى . .

ففي المراحل الاولى لتكوين الامة ، وهي مرحلة تكوين الكيان الرسالي الذي يناضل لاجل إقامة امة القرآن تبرز اهمية القيادة بشكل حاسم ورئيسي بحيث ان اقل اهمال او غفلة في هذا الجانب يعني تدمير الكيان . . كيف ؟؟ لاضرب لك مثلا :

* المطر عادة ينهمر على الأراضي والمزارع وغيرها وبصورة كثيرة احيانا ، وهو في هذا قد ينفع وقد يضر . . وبين نفعه وضرره خيط رفيع هو : القدرة على التحكم فيه وتوجيهه ، فحينما يتم ذلك بصورة مخططة وجيدة حينئذ سيكون نفعه كثيراً . بينما لو لم يتم ذلك ولم تبن السدود والقنوات اللازمة لتنظيمه فإنه سوف يتحول الى سيل عارم يجرف ما امامه من زروع واشجار ، وبدل ان ينتفع به يتضرر . وبالتالي لا بد ان تكون هناك جهة تشرف على تنظيم سير الماء وتوجهه الى الأراضي الجافة حسب الحاجة .

كذلك هو الكيان الثوري . . انه يملك طاقات هائلة ، امكانات جماهيرية كبيرة بمثابة المطر الغزير . . هذه الامكانات والطاقات الكبيرة لافراده لا بد ان تكون

لها جهة تشرف على تسييرها وقيادة تنظم استخدام هذه القدرات . . لكي تتحول الى انتاج ، ولو كانت هذه القيادة موجودة ، وحتى إذا كانت رشيدة ومقتدرة . . ولكن الطاعة لم تكن متوفرة من قبل الافراد فما الفائدة ؟؟ لا شيء . .

إن الهزيمة والانكسار سيكونان حليفي هذا الطرف وقيادته فمثلا ، المسلمين حين كانوا يطيعون قيادتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يخرجون من نصر الى نصر حتى لو كانت المعركة غير متكافئة كما في غزوة بدر حيث انتصر المسلمون وهم ثلث عدد المشركين .

بينما خاضوا تجربة مريرة حين عصى بعضهم القيادة في غزوة احد كما هو المعروف . . فبعد ان بانت علائم النصر للمسلمين وبدأ المشركون يولون الادبار ، والمسلمون يجمعون الغنائم التي تركوها . . كان رماة المسلمين ينظرون الى المعركة من فوق جبل احد ، ورؤ وا النصر . . وبالرغم من تأكيد الرسول عليهم ان لا يتركوا الجبل مهما تكن نتيجة الحرب ، نصراً او

هزيمة ، وأن يحموا ظهر المسلمين حتى يأمرهم الرسول بالنزول ، غير ان هؤلاء خالفوا قيادتهم ، ونزلوا من الجبل لجمع الغنائم وبنزولهم حولوا النصر الى هزيمة شنعاء حيث التفت مجموعة من خيل المشركين حول الجبل وسيطرت على الموقف .

وكان سبب الهزيمة امر واحد هو : مخالفة القيادة .

بل ان الانحراف الذي تكرس في الامة فيما بعد لم يحدث الا نتيجة لعصيان القيادة الشرعية . . فالامام علي (عليه السلام) كان يؤكد باستمرار انه (لا رأي لمن لا يطاع) عندما كان يفسر سر سيطرة معاوية على جزء من بلاد المسلمين ، فماذا تفيد الخطة المحكمة او القيادة الحازمة او السلاح والشجاعة ما دامت الطاعة مفقودة . .

في حديث آخر ، يقول الإمام (عليه السلام) :

(أما والله أني أظن أن هؤلاء سيظهرون عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم . . ولكن لطاعتهم لأميرهم وعصيانكم لإمامكم) .

وعلى العكس حينما يلتـزم بطاعـة القيادة نـرى النصر يكون على الأبواب . .

ففي إيـران يوم اتبـع الشعب قيادتـه وسار خلفهـا ، وقدم التضحيات ليلتزم بأمر الإمام الخميني الى درجة أنه حينما أعلنت الأحكام العرفية ومنع التجول والتـواجد في الشـوارع اصـدر الإمـام الخميني بيـانـاً من (نـوفـل لـوشاتـو) وحين وصله للجمـاهـير صبت الجمـاهـير في الشـوارع كلهم يحملون لافتات تقـول : إننا نـائمون في الشوارع بانتظار البيان التالي للإمام .

وبالتزامـه بقيادتـه استطاع القضـاء على امبـراطوريـة النصف مليون جندي وبـلاد السـاواك ليقيم حكـومة الله مكانها .

وتاريخياً لقد كانت صفـة الطاعـة للقيادة تميـز المؤمن عن غيره . . فذات مرة دخل على الإمام الصادق (عليه السـلام) رجل من اتبـاعه في خـراسان ، وسـأل الإمام مستنكراً :

لم لا تقـوم ومعـك مـائـة ألف سيف من شيعتـك وانصارك ؟

فسأله الامام : أنت من شيعتي ؟ فقال : نعم .

فأشار الإمام الى تنور مسجور تلتهب فيه النار وأمره أن يلقي بنفسه فيه . . ارتبك الرجل وتغيرت الوانه وحار في أمره وإعتذر موضحاً أن له أطفالاً وعيالاً وهم في إنتظار رجوعه وبينما هما كذلك ، وإذا بأحد صحابة الإمام المخلصين يدخل ويأمره الإمام بالدخول الى التنور فلا يمانع . . . فيسأله الإمام أعندكم مثل هذا ؟؟

ان ضرورة طاعة القيادة تنبع من :-

أ - الحاجة الى وجود كيان (امة) وكما تقدم الحديث ، إن الأمة لا يمكن أن تكون ما لم يكن هناك طاعة واتباع للإمام من قبل المأمومين .

ب - نجاح الخطط يتوقف على طاعة القيادة وتنفيذ أوامرها فمهما تكن الخطة جيدة وصالحة ومتكاملة الجوانب ومحسوبة النتائج والأهداف فإنها لا تنفع شيئاً مع عدم تنفيذها من قبل الأفراد والجماهير .

إن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) بالرغم من كونه مضرب المثل في الشجاعة والتخطيط العسكري

حتى قيل (لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي) وبالرغم من أنه خاض ما لا يقل عن ثمانين معركة تكللت بالنجاح في اغلبها . غير أن خبرة أمير المؤمنين وخططه لا تنفع شيئاً ما دام اتباعه لا ينفذونها في خطبة الجهاد يقول أمير المؤمنين : (. . . وافسدتم عليّ رأيي بالعصيان حتى لقد قالت قريش : ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . . لله ابوهم وهل أحد منهم اشد لها مراساً مني لقد نهضت بها وما بلغت العشرين وهانذا قد ذرفت على الستين) .

ج ـ منع الاتجاهات الفردية والمنحرفة من النمو داخل الكيان الرسالي ، وقطع الطريق على المنافقين او الانتهازيين الذين يحاولون استغلال اي فرصة لزعزعة الأفراد واعانة خطط العمل الرسالية .

فطاعة الأفراد لقيادتهم الرسالية تفوت الفرصة على هؤلاء وتجعل محاولاتهم تبوء بالفشل .

عن صفة الطاعة للقيادة يقول الإمام الصادق في وصيته :

(إنما أوليائي : الذين سلموا لأمرنا ، واتبعوا آثارنا واقتدوا بنا في كل أمورنا) [1] .

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٨ .

عدم تضخيم السلبيات

إن الكيان الرسالي وهو يعمل داخل المجتمع الفاسد من اجـل تغييره لا بـد أنه سيختـار عناصـره وافراده من هذا المجتمع ممن يملكـون ميزات إيمـانية او ثقـافية وحتى إذا لم يمتلكوا فإنهم يحاولون تـربيتهم عليها واثنـاء توسـع هـذا الكيان في المجتمـع وانتشاره فـإنـه لن (يستـورد) عنـاصره من الخـارج وانمـا سيـربي افـراد المجتمـع عـلى افكاره ومبادئه .

لذلك فالفرد المنتمي حديثاً الى هـذا الكيان تصـاحبه عـادة بعض السلبيات الصغيـرة التي تركـزت عنـده من شوائب المجتمع سابقاً . وربمـا تلازمـه لفترة غـير قصيرة فلا يستطيع التخلص منها بسرعة .

ويتخـذ أفراد الكيـان من هـذا الفـرد وأمثـالـه أحـد موقفين .

١ ـ موقف الحسم والتخلص منه .

٢ ـ موقف المعالجة والتصحيح .

الموقف الأول : قد تكون له ايجابيات مثـل : تطهـير الكيان من جميع السلبيـات والشوائب المـوجودة فيـه من خلال اتصال الأفراد السلبيين . وقـد يكون لهـذا تبريـر وهو أن الفرد الذي لا يستطيـع اصلاح نفسـه وتغييرهـا لن يمكنـه اصـلاح غيـره كيف وأن (فـاقـد الشيء لا يعطيه)؟

سلبيات هذا الموقف هي ما يلي:

أ ـ الجهد الضائع المبذول على الفرد حتى أصبح مهيئاً للإنتهاء . . إن هذه الجهود لو صرفت على الطريقـة هذه فإن الكيان سيكون بعد مـدة بسيطة معـرضاً لـلإنهاك . والقضية خصوصاً لا تقتصر عـلى فرد واحـد ، وإنما قـد تواجهه في عـدة أفراد وهكـذا تصرف جهـود كبيرة دون طائل في وقت يكـون الكيان الـرسالي بحـاجة مـاسة الى

افل جهد مبذول وعليه أن يوفر أكبر مقدار ممكن من الجهود الضائعة .

ب ـ أن تخلص الكيان من عنصر بعد عنصر ، ومن فرد بعد فرد آخر يهدد بانتهاء الكيان للأبد لأن أي فرد ناقص ويبقى يحمل صفات سلبية قد تكون صغيرة أو خطيرة واذا كان هذا الموقف هو الحاكم فهذا يعني كما قلت انتهاء الكيان للأبد خصوصاً مع الظروف العامة التي لا تساير الرسالة بقدر ما تخالفها .

ج ـ إن مهمة الأفراد الرساليين وهدف انشائهم للكيان العامل إصلاح المجتمع وتغييره نحو الأفضل والالتزام بأحكام الله ، وذلك يتم عبر اصلاح افراده وتربيتهم ، وهذا الفرد وامثاله جزء من المجتمع الكبير الذي يراد اصلاحه ، فتكون مهمة الأفراد بالنسبة للفرد قبل التخلص منه ـ اصلاحه .

الموقف الثاني : ينطلق من النظرة البديهية لهذا الفرد حيث أن هذا الفرد هو نتاج المجتمع الفاسد الذي اذا لم نقل أنه تأثر به بالكامل فبنسبة معينة على الأقل قد تأثر به .

وحسبما تقدم لا يمكن اطلاقاً اتخاذ الموقف الأول للسلبيات المذكورة فيه وانما لا بد من اختيار الموقف الثاني من خلال الأمرين التاليين :

أولاً : مقايسة سلبيات الفرد بايجابياته وتضحياته التي قدمها أو الأعمال التي يتوقع منه تقديمها في المستقبل خصوصاً اذا كان قد تشبع بمبادىء الرسالة . . . وإذا كان مستعدا للتضحية في سبيل الله بنفسه أو ماله . . .

إن السلبيات الصغيرة والنواقص الجزئية لا يمكن أن تكون سبباً في حرمان الأمة منه ومن طاقاته .

صحيح ان مثل هؤلاء الأفراد يحتاجون الى جهد ـ فوق العادة ـ كبير وانهم قد يؤثرون بسلبياتهم على بقية افراد الكيان ، ولكن لا بد من مقايسة هذا بمقدار ما يمكن أن يقدموه فإذا كان المرجو منهم كثيرا في سبيل الله فلا بد من اصلاحهم ولو بهذا الجهد ، أما اذا كانت سلبياتهم بحيث تضر ولا يمكن تصحيحها (الا بعد خراب البصرة) فالأفضل طبيعياً التخلي عنهم .

وعموماً فإن الروحية الحارة والضيقة في التعامل مع

الأفراد اثبتت باستمرار انها غير مجدية ، وأن الفرد الذي تقابله بهذه الروح لن تلقى منه الا رد فعل أعنف وأسوأ .

ثانياً : عدم تضخيم السلبيات وتصويرها كـ(بعبع متوحش) سوف يلتهم التجمع الرسالي ويقضي عليه . . وإنما لا بد من العدالة في مثل هذا الأمر لكيلا تحدث ردة فعل واحباط لدى الفرد مما يهزم نفسيته ولا يستفاد منه . ثم يبدأ التصحيح الهادىء المتزن الذي لا شك يؤثر تأثيراً بالغاً في نفسية الفرد ويزيل منه سلبياته ونواقصه ويؤثر في ترابط الكيان ويزيده قوة وتماسكا .

عن الموقف الثاني يتحدث الإمام الصادق موصياً ابن جندب :

(يا ابن جندب : لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم الا خيرا واستكينوا الى الله في توفيقهم وسلوا التوبة لهم)(١).

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٢ .

أي أن الأفـراد المنتمـين الـذين يعملون معكم إذا كـانت لـديهم بعض الأخـطاء والـذنـوب الصغيـرة فـلا تهينوهم وتجرحوهم بكلامكم وانمـا قولـوا فيهم خيرا . . واستعينوا بالله لاصلاحهم وتغييرهم . .

وذلك لأنه يسبب نتيجتين خطرتين :

الأولى : كشف سلبيـات الفـرد يقـذفـه في الاتجـاه المعاكس فيتخذ حـالة الـدفاع عن النفس وربمـا التحدي للآخرين ويصر على موقفه واحياناً قد يرى أنه الصحيح فقط وما عداه باطل وهذا موقف يتخذه الكثيرون ثأراً لما يتصورونه من (كرامتهم الممتهنة) .

الثانية : إن كشف سلبياته وسيئاته أمام الآخرين يجعل الفرد يسقط في ذاته ، ويحتقر نفسه ، ويصاب بالاحبـاط داخلياً ذلك أن شخصيته المعهودة بـين الناس ستتحـطم على صخرة سلبيـاته وسيئـاته المـذاعة . لـذلك نجـد في القـرآن الكريم تعنيفـا عـلى الـذين ﴿ **يحبـون أن تشيـع الفاحشة في الذين آمنوا** ﴾ .

ثم يوضح الامام بشكل أجـلي . . ليقول أن الكشف عن سلبيات الأفراد (عوراتهم) أمام الملأ هو خطأ يجب

أن لا يرتكب .

(يــا ابن جنــدب : إن عـيسـى ابن مـــريـم قـــال لأصحابه :

أرأيتم لو أن احدكم مر بأخيه فرأى ثوبه قـد انكشف عن بعض عورته (بعض سلبياته الصغيرة) أكان كاشفاً عنها كلها أم يرد عليها ما أنكشف منها ؟

قالوا : بل نرد عليها . . .

قـال : كلا بـل تكشفون عنهـا . . فعرفـوا أنـه مثـل ضربه لهم .

فقالوا : يا روح الله وكيف ذلك ؟

قال : الرجـل منكم يطلع عـلى العورة من أخيـه فلا يـستــرهــا)[1] .

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٤ .

الأخلاقيات الإيمانية

قد يشعر الفرد الذي يريد القيام بعملية التغيير في المجتمع انه يعيش في مجتمع لا يحمل نفس افكاره ولا ينسجم مع تطلعاته وآماله . . ويرى أنه امام مجتمع مليء بالتناقضات والسلبيات والأخطاء التي يرفضها وهو في هذا المجتمع ـ كما يتصور ـ نغمة نشاز شاذة عن مسيرة المجتمع فيكون (غريبا) في داخل المجتمع .

ويشتد هذا الشعور عندما يرى نفسه معزولاً حتى في عائلته فزوجته قد لا تفهم دوره في المجتمع فتزيد الطين بلة ووالداه يعترضان مسيرته ويعارضانه في أعماله والأقربون منه يحاولون تثبيطه جهد الامكان لارجاعه للتيار العام الحاكم في العائلة .

من جهة أخرى تحاول السلطة الطاغوتية الاستفادة

من هـذه الحالـة لصالحهـا في سبيـل تحـطيم هـذا الفـرد اجتماعياً بعزله عن بحر الجماهـير الذي يحيـا فيه . بـل وتحاول أن تحدث مضايقات وأذى لعائلته واقـربائـه لكي يضغـطوا عليه اكـثر . وتشن حربـاً دعائيـة ضد هؤلاء الأفراد لفصلهم عن الارتباط بأهدافهم .

شعور الغربة والعزلة في المجتمع . . .
وتثبيط العائلة والأقربين .
والحرب النفسية والدعائية للسلطات . .

كلهـا تؤثـر في النفس لـلأفـراد العـاملين فتحـول (ضـعـاف الايمـان) منـهم الى خشبـة منخـورة من الـداخل . . . الى افـراد ذوي اهتمامـات هامشيـة ربمـا تصل في تفاهتها الى أقل من إهتمامـات الـرجل العـادي الذي لا يحمل فكرا ولا قضية .

وإذا تـحـول الأفراد هكـذا واحـدا بعـد الآخـر فـإن الكيـان الرسـالي يبـدأ بـالانهيـار والانتهـاء بفعـل تـأكله الداخلي . . .

في مقابل هذا يطرح الامام الصادق (عليه السلام)

الاخـلاقيات الايمـانية التي لا بـد من توفـرها في الكيـان الرسالي عبر ثلاثة أمور :ـ

الأول ـ ايجاد المجتمع الايماني البديل

الانتماء الى جماعة والانتساب اليهم حاجة أساسية من حـاجات الانســان ويعد علماء الاجتمـاع غريـزة الانتماء الغريزة الثالثة الأهم من بين غرائز الانسان واننـا نلاحظ هـذه المسألة عمومـاً حتى لدى الأطفـال حيث يبلؤ ون عن عزلتهم المبكرة يتكتلون في تجمعات لعب وغيرها .

والفرد الرسالي بطبيعة الحال يحس بحاجته الى الانتماء لجماعة ما ، كأي انسان آخر غـير أن المسألـة هنا تختلف عنها لدى الفـرد العادي . فـالرسـالي يعيش في مجتمع لا ينتمي اليـه في الواقـع فـأفكـاره تخـالف افكـار المجتمـع وطريقة حياته تناقض أحياناً طريقـة المجتمع وهـو يعمل طوال وقته لتغيير الوضع الاجتماعي القائم ومن هنا فهو لا يشعر بانتماء اليه .

وهنـا يعيش وضعـا معقـداً ، فهـو قـد يكـون بـين

خيـارين بالنسبـة للمجتمع فهـو يرفض الازدواجيـة ولا يستـطيع مجـاورة المجتمع ومسـايرتـه والتخـلي عن بعض افكاره وقيمه ومن جهة أخرى لا يستـطيع الانكفـاء على نفسه واعتزال المجتمع والعيش لوحده لأن رسالته رسالة التغيير الاجتمـاعي وهـو لا يستـطيـع أن يبقى بـدون انتماء .

لذلك فلا بد من ايجاد مجتمع مصغر في بطن المجتمع الكبـير المترهـل يقـوم عـلى اسـاس القيم والمبـادىء التي يحملها افراد هذا المجتمع المصغر وتجمعه وحدة الأعمال التي يقـومـون بهـا ، والممـارسـات التي يؤدونها . وهـذا المجتمع بالاضافة الى أنه يشبع غريزة الانتماء لدى الفـرد الـرسالي ويمنعـه من الانتماء لتجمعـات فاسـدة ، يعطي للأفراد قوة وصلابة وثقة في الأفكار التي يحملونها .

اننا نرى الرسل (عليهم السلام) في التاريخ بعد أن بـدؤ ا دعوتهم واستجـاب لهم عـدد من النـاس شكلوا بهؤلاء مجتمعاً صغيراً مؤمنا بمثابـة النواة لمجتمـع اكبر . وكان أبرز هؤلاء رسول الله محمد (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) حيث جمع المؤمنين به بربـاط الاسلام والمسـاواة

وكانت لهم اجتماعاتهم الخاصة وفكرهم الخاص الذي ميزهم عن المجتمع الجاهلي الكبير .

ولتكوين هذا المجتمع لا بد أن تجتمع القلوب وتتعاطف فيما بينها لذا يطرح الامام الصادق (عليه السلام) امرين لتحقيق هذا التجمع واذكاء جذورة الحب بين افراد التجمع الواحد فيقول (من سره أن يزوجه الله الحور العين ويتوجه بالنور فليدخل على أخيه السرور)[1] .

فادخال السرور على المؤمنين وكشف سحب الهموم التي تعكر صفو حياتهم وتحسيس آلامهم مقدمة لربط هؤلاء في مجموعة متحدة واحدة .

ولا يخفى ما لهذا العمل من اثر ايجابي ذلك لأن كل فرد رسالي وهو يعيش مشاكل الحياة العادية ، أو مشاكل العمل ويرى التحديات العالمية والمحلية التي تتحدى رسالته قد يصاب بالضعف ولكنه عندما يحس أن هناك افرادا يستطيع الاطمئنان لهم والتعايش معهم وهؤلاء

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٣ .

بـدورهم يخففـون عنـه مشـاكله فـانها تخف وتضمحـل طبيعياً .

ثم يستطرد الامام قائلاً :

(يـا ابن جنـدب ان للشيـطان مصـائـد يصـطاد بهـا فتحاموا شبـاكه ، قلت ومـا هي يـا ابن رسـول الله ؟ قال أما مصـائده فصـد عن بر الاخـوان . . وأما شبـاكه فنوم عن قضاء الصلوات التي فرضها الله . . أمـا أنه مـا يـعـبـد الله بمـثـل نـقـل الأقـدام الى بـر الاخـوان وزيارتهم) [1] .

ان تزاور الرساليين في حـدود قضايـا الأمن والظروف الموجودة ينفعهم في امرين :

* طـرد حـالات الضعف الانسـاني الـتي تصـيب الرساليين احيانـاً نتيجة لعمليـات الاحباط التي يمـارسها المجتمـع والسلطة تجاه هؤلاء ، ولعـدم قوة ايمـانهم فقد يصـابـون بـردة فعـل أو بحـالات ضعف ويستسلمـون

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٣ .

لشيطان اليأس والتخاذل والانهزام ويخضعون لضغط الشهوات ، مثل هؤلاء الأفراد تكون الزيارات بالنسبة لهم احياناً بمثابة البلسم الشافي فكلمة تشجيع مرة وحث على العمل الصالح مرة أخرى وتذكير بالله وبمسؤوليتنا تجاه رسالة الله ثالثة ، قد تكون كفيلة بنفخ الروح في جسده الخاوي .

وهذا ما يسمى قرانياً بمسألة التواصي بالحق وبالصبر تلك الصفة التي تميز تجمع المؤمنين العاملين .

* متابعة الأحداث التي تجري في المجتمع ووضع انفسهم في الصورة أولاً باول ، فالرساليون وهم يريدون تغيير المجتمع لا يجوز لهم أن يتأخروا عن فهم ومواكبة التغيرات التي تحدث في هذا المجتمع سواء كانت سياسية أو على الصعيد الاجتماعي .

إن الغياب عن الأحداث المتجددة وعدم فهمها يجعل الأفراد العاملين يدورون في حلقة مفرغة من الشعارات والنظريات التي تفقد معناها حين تبقى نظريات ومجرد كلمات ، بينما نجد القرآن الكريم ليس فقط يحث على الأمور وفهمها بل يحرض المؤمنين على

التنبوء بها والتوسم ﴿ أن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ والتوسم هو آخر درجات التنبوء .

إن زيارة الرساليين بعضهم البعض ـ ونؤكد ضمن حدود الأمن ـ تتيح الفرصة للجميع أن يتناقلوا الأنباء والأحداث ويناقشوا التغييرات الحادثة سواء في المجتمع أو في موقف السلطة وعملها وبتلاقح افكارهم يستطيعون الخروج بتصور وفكرة واضحة تعين كل فرد على رسم خطته بشكل أفضل بعد أن جمع علم الآخرين الى علمه .

إن السلطات الظالمة تسعى دائماً لتشتيت الأفراد وتقوم بصرف الأموال الطائلة لكي توقع بينهم وتسلب ثقة بعضهم من البعض والتزاور ـ بر الاخوان حسب تعبير الامام ـ كفيل بافشال هذه المخططات .

الثاني ـ ايمان الأفراد بقضيتهم :

إن من المؤلم بالنسبة للرسالي أن يشعر بحاجته الدائمة للمجتمع الذي لا يرتضيه واضطراره للتعامل أو

التكيف مع قيمه وقوانينه لذلك يحتاج الأفراد الى تحويل البر والتزاور الى شيء عملي في الخارج الى أن يساعد الأفراد بعضهم البعض ويؤدي من يستطيع منهم أعمال وحوائج الآخرين . . وهذا ما يؤكد عليه الامام الصادق (عليه السلام) ويجعله أحياناً مقياساً لايمان المؤمن ويفضله في احيان كثيرة على الممارسات العبادية المجردة .

فذات مرة قدم أحد اتباع الامام الصادق (عليه السلام) واسمه (ميمون) وشكى اليه تعذر الكراء عليه (تأجير الجمال للانتقال ونقل الأغراض). وبأنه لا يملك مالا كافياً ليكتري وكان صفوان الجمال وهو أحد صحابة الامام ـ جالساً في المجلس فقال له الامام : قم فاعن أخاك ـ قال صفوان فقمت معه ويسر الله كراءه ، ثم رجعت الى مجلسي فقال لي الامام : ما صنعت في حاجة اخيك ؟

ـ قلت : قضاها الله ـ بابي انت وامي ـ

ـ فقال الامام : يا صفوان أما انك إن تعين أخاك المسلم أحب الي من طواف اسبوع في البيت . . لاحظ

ان في هذه الحادثة عدة أمور :

أ ـ إن افراد هذا المجتمع الإيماني قد تعودوا على قضاء حوائج بعضهم البعض حتى أصبح امراً طبيعياً فالمحتاج الذي لا يستطيع تأجير الجمال يقول حاجته وهو يعرف أنها ستقضى له والا لم يبح بها . وكذلك صفوان الذي قضى حاجته لم ير الأمر غريباً ولم يتعذر بانشغاله أو غير ذلك .

ب ـ اخلاقيات قضاء حاجة المؤمن تبرز كبيرة في هذه الحادثة الصغيرة فصفوان بعد أن قام وقضى حاجة ميمون ونقل له متاعه عاد ليسأله الامام عما فعل بحاجة أخيه فإذا به يجيبه : أن الله هو الذي قضاها كأنما لا دور له اطلاقاً في مساعدته وقضائها له فضلاً عن عدم المن الذي يفسد العمل .

ج ـ مقارنة الامام قضاء حاجة المؤمن بطواف اسبوع (سبعة اشواط) حول الكعبة مع أننا نرى أن الطواف رمز لأعظم شيء ، ولتوحيد الله حيث يجعل الانسان محور حياته بيت الله وأمر الله ، وأنه يدور حوله لهذا الغرض.

بل ان الامام وهـو يريـد تأكيـد هذه القيمـة في افراد الكيان الرسالي يقارنها بالاستشهاد في سبيل الله من أجل تكـوين فرد (يحب لأخيـه ما يحب لنفسـه ويكره لـه مـا يكره لها) وذلك لتشابـه الأثر الـذي يترتب عـلى الأمرين فيقول لابن جندب :

(يا ابن جندب : المـاشي في حاجـة أخيه كـالساعي بين الصفا والمروة).

(وقاضي حاجتـه كالمتشحط بـدمه في سبيـل الله يوم بدر وأحد)[1] .

ويعطي الامام توجيها للرسـاليين في قضـاياهم حـين تنـزل بهم نازلـة او مصيبة فيحب أن لا يـذهب الى غـير المؤمنـين ليقضوهـا لـه . . (. . ولكن اذكـرهـا لبعض اخوانك فانك لن تعدم خصلة من أربع خصال) :

- امّا كفاية .
- وأمّا معونة بجاه .

---

(١) تحف العقول ص ٢٢١ .

ـ أو دعوة مستجابة .

ـ أو مشورة برأي) [1] .

الثالث ـ تذكير الأفراد بقضيتهم

للتغلب على التثبيط وافقاد الحرب النفسية مفعولها يأتي دور التذكير بالقضية والهدف الذي يتحركون من أجله لتوسيع افق الانسان وانتشاله من المستنقعات الضيقة التي تعبث فيها (جراثيم) التثبيط فسادا . . . وكذلك التذكير بالمصير الآلهي الذي ينتظر المؤمنين العاملين من رضوان الله وجنانه .

يقول الامام الصادق (عليه السلام) :

(طوبى لعبد لم يغبط الخاطئين على ما اوتوا من نعيم الدنيا وزهرتها . طوبى لعبد طلب الآخرة وسعى بها ، طوبى لمن لم تلهه الأماني الكاذبة)[2] .

فقضية الانسان المؤمن ليست الدنيا وزهرتها ، بل

---

(١) تحف العقول ص ٢٨٠ .

(٢) تحف العقول ص ٢٢٢ .

ليس الانتصار على الأعداء ، انما هي بالدرجة الأولى (ورضوان من الله اكبر) انها تلك الحيلة الباقية في دار الآخرة هذا هو همه الذي يعمل له ليل نهار (قد تخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به) كما يقول الامام علي (عليه السلام).

بل وهو في حياته الدنيوية لا ينظر اليها بقدر ما ينظر الى ما يلحقه منها في يوم معاده وهو يعيش في الدنيا ولكنه في آخرته (فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون).

إن التذكر والتذكير الدائم للأفراد بقضيتهم الانسانية يجعلهم يتغلبون على شيطان الأهواء وشيطان الطغاة .

ويقول ايضاً :

(من أصبح لسوى فكاك رقبته فقد هون عليه الجليل ورضى من ربه الربح الحقير) .

وفي مكان ثالث يقول :

(ان الله تبارك وتعالى سوراً من نور محفوفاً بالزبرجد والحرير منجداً بالسندس والديباج يضرب هذا السور

بين اوليائنا وبين اعدائنا فاذا غلى الدماغ وبلغت القلوب الحناجر ونضجت الأبدان من هول الموقف دخل في هذا السور اولياء الله فكانوا في أمن الله وحرزه لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين واعداء الله قد الجمهم العرق وقطعهم الفرق)[1] .

الرابع : الانتماء الرسالي المقدس .

حسب نوعية التجمعات تكون علاقات وارتباط الأفراد بها وحسب الأساس التي تقوم عليه هذه التجمعات تكون درجة ارتباط الأفراد في قوتها أو ضعفها ، والتجمعات :

أما أن تتكون طبيعية وبدون اعداد مسبق ولا شروط كما لو حدثت حادثة في السوق وتجمع بعض الأفراد بدافع الفضول ، قد تأتي اليه ىدافع الاستطلاع والآخر بغيره وهكذا يحدث تجمع كبير في السوق على الحادثة غير أن هذا التجمع لا يطلب شروطاً خاصة به لكي تقبل فيه ولا يحتاج الا أن توفر فيك حب الاستطلاع لكي

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٦ .

تكـون جزء من هـذا التجمع بـامكانـك في أي وقت أن تنفصـل عنه وتتـركه لتـذهب الى عملك دون أن تكـون محاسباً أمام أحد .

أو تكـون التجمعات اجتمـاعية أو أسـرية كـالنوادي الرياضية والجمعيات الخيرية أو الأسرة والعائلة . وهـذه التجمعـات بالـرغم من ان انتماء الفـرد اليهـا أقـوى من انتمائه الى سابقاتها ، وأنه لا بد أن يوفـر في نفسه بعض الصفـات ليديم انتـماءه اليها . . الا أن يبقى في الأخـير بامكانه أن يتخلى عنهـا فبإمكـانه ان يستقيـل من النادي ويتركه الى ناد آخر والعائلة ـ ربما ـ لخـلاف بين افـرادها ينفصل بعضهم عن الآخر وهكذا .

غير أن التجمعات المبدئية . . الأمر فيها يختلف تمـاما لأن العـلاقة تقـوم على اسـاس المبدأ الذي لا يتغير ولا يمكن التنـازل عنـه ، ولا يمكن أن يتقـدم عليـه عـامـل آخر ، أو يقهره ظرف قاس .

علاقة الفرد بكيانه الثوري الرسالي علاقة مبـدئية من هذا النوع الأخير تستمد وجودها وبقاءها من ايمان الفرد واعتقـاده بـالله سبحـانـه وتعـالى والتـزامـه بمبـدئـه

وعقيدته . . . وما دام هذا الاعتقاد والايمان بالله باقياً فإن التزام الفرد بكيانه وعلاقته به تبقى .

ماذا يعني الارتباط الرسالي المبدئي؟

إنه يعني ان يكون لهذا الكيان الدور الأول في حياته فهو الذي يحدد مسيرته وطريقته في العمل والتغيير وهو الذي يعين مستقبله الحياتي كيف يجب أن يكون وفقا لمتطلبات العمل الاسلامي وهو يتدخل حتى في اموره الخاصة ليصلحها وفق الطريقة الجيدة التي يراها مناسبة لهذا الفرد ولدوره المستقبلي .

انه يعني ان العلاقة مع الكيان علاقة مقدسة ولذا فهي لا تتأثر بالسلبيات الصغيرة الموجودة فيه ، وايضا لا يؤثر فيها سلبياً بقية العلاقات .

الخيار بين الحفاظ على علاقة القرابة مع العائلة أو الصداقة مع بعض الأفراد ، أو للانتماء الى ناد أو جمعية ، وبين الالتزام بالعلاقة الرسالية مع الكيان وأفراده المؤمنين ، فإن العلاقات الأخرى تترك مكانها للعلاقة الرسالية لتتقدم عليها .

ولـو كـان الخيـار بـين الـربـح الشخصي ، وتـأمـين المستقبل الفردي الجيـد كالـربح في التجـارة أو الحصول على وظيفة ذات راتب ضخم من جهة ومن جهة اخـرى تؤثر هذه المصالح الشخصية سلبياً على العلاقة الرسـالية أو على حجم العمل المبذول في سبيل الله . . فـإن الفقر مع الحفاظ على العمل في سبيل الله هو يقـدم على الغنى مـع قلة أو عدم العمـل (الفقر معنـا خير من الغنى مـع اعدائنا) .

وهـذا الأمـر يؤكـد عليـه الامـام الصـادق (عليـه السـلام) كثيراً وجميـع الأئمة كـذلك لأن بعض النـاس يعملون لله ولـلاسـلام مـا دام العمـل لا يكلفهم عنـاءاً كبيـراً أو تضحيـات كثيـرة بمصـالحهم الشخصيـة أو الاجتمـاعية فـإذا كـان الأمـر يحتـاج الى ذلـك يتـركـون قيـادتهم وعملهم ويشير القـرآن الكريم الى هـذا بقـولـه تعالى : ﴿ لو كان عرضاً قريبـاً وسفراً قـاصداً لاتبعـوك ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾[1] .

---

(١) التوبة آية / ٤٢ .

أي حـين يكون العمـل قليـل التكلفة والتعب فـانهم يقـومـون به ،ان الانتـماء الى مجتمـع المؤمنـين يحتـاج الى تضحيات بحجم هذا الشـرف . وأن ينقطع بكـامله الى هـذا المجتمع الجـديد ، وينسى مصـالحـه مـع المجتمـع السابق الفاسد .

ولتوضيح المسألة اضرب لك مثلين جسّـد كل واحـد منهما جانباً من الصورة . . الأول يمثل موقف الثائر الذي ينتمي الى ذلك الكيان بكل جوارحـه ويجعل عـلاقته بـه مقدسة كعلاقته بمبدئه وعقيدته ويقدمها على ما سواها . والثـاني يمثـل الجـانب المـظلم لمن ينتمي للرسـالـة ولكن انتـماءه لا يصـل الى حـد تقـديمـه عـلى كـل الانتـماءات الأخرى .

الأول : موقف مصعب بن عمير الشاب الذي رفض المـال والثروة والأبهـة في ظل الكفـر وفضل عليهـا الفقر والتواضع في مجتمع الإيمان . . كان في احدى غزواته مع الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) بينما هـو يمشي في الميدان ابان نهاية المعركة اذا به يـرى أخاه مـوثقاً بحبـال الأمر بيد أحد المسلمين . . . فرح اخوه حينـما رآه آمـلاً

أنه سوف يشفع له ، و(يتوسط) له لينقذه ، فاقترب مصعب ومع اقترابه زادت فرحة الأخ الأسير غير ان مصعباً قال للمسلم ـ بصرامة ـ.

ـ شدد عليه فان امه في خير . . . فدهش الأخ وقال :

ـ يا مصعب أنا أخوك ؟ فاجابه مصعب مقطباً :

ـ والله أنه اخي ـ مشيراً للمسلم ـ دونك . .

إن علاقة الأخوة ، وهي علاقة اجتماعية قوية لم تقف أمام علاقة مصعب برسالته ، ولا بأخيه الثائر المسلم .

عن هذه العلاقة الرسالية يتحدث الامام الصادق قائلاً لابن جندب : (. . . كل الذنوب مغفورة سوى عقوق أهل دعوتك) [1] .

الثاني : موقف حاطب بن بلتعة وهو رجل اسلم وانتمى الى هذا الكيان الهادف للتغيير والثورة على الكيان الجاهلي وهاجر للمدينة غير أن انتماءه لم يكن

---

(١) تحف العقول ص ٢٢٣ .

قوياً . لذا ما أن سمع بعزم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على مهاجمة مكة وفتحها حتى اضطربت أعصابه لأن له في مكة قوماً وضياعاً وأموالاً . . . وهجوم المسلمين على مكة ـ حسب تصوره ـ يعني ضياع هذه الأموال وأسر أهله . . . لذلك ارسل رسالة الى قومه في مكة ، واعطاها لأمرأة خبأتها بين طيات شعرها ، ولكن القضية انكشفت وصودرت الرسالة .

هذا الرجل كان يعد من المسلمين غير أن انتماءه الى الكيان الاسلامي لم يكن انتماءاً رسالياً صادقاً .

هذه هي بعض العلاقات والقيم التي يقوم عليها الكيان الرسالي لحمايته من التصدع والانهيار من الداخل .

* السرية : ضمان استمرار العمل بمعزل عن الضربات .

* الطاعة للقيادة : ضمان العمل المخطط ومنع التصرفات الفردية .

* عدم تضخيم السلبيات : ضمان الحصول على عناصر جديدة تخدم الرسالة .

عوائق استمرار الانتماء الرسالي

إذا كان الانتماء الى الكيان الرسالي بهذا المستـوى من الأهميـة ، فلمـاذا نجـد بعض الأفـراد يفصمـون عـروة انتمائهم الى هذا الكيان ، واحيانـاً بعض الأفراد الـذين امضوا سنين طـويلة من الجهاد في سبيـل الله ، وإذا بهم وضمن دهشـة الجميـع يفصمــون انتـماءهم ، وينهــون علاقتهم بالكيان الرسالي المقدس . . . فـما هي الأسباب التي تنهي الانتماء الرسالي ؟

بالطبـع لا يمكن لنا أن نحـدد كل الأسبـاب ، فحياة الانسان كل متـرابط ، وربما يؤثـر جزء صغـير في كامـل حياته ومسيرته ، لأن هـذه الأجزاء الصغيـرة هي بمثابـة قـطرة الماء التي تخـرق الصخـرة بعـد تكـرار تسـاقـطهـا عليها ، ولذلك فستكون هناك قضايا بسيطة وصغيـرة لا

يلتفت اليها قد تكون هذه القضايا هي القشة التي تقصم ظهر البعير . . غير أن هناك اسباباً مشتركة للكثير من الذين يتهاوون في منتصف طريق الجهاد والثورة ، وهذه الأسباب هي التي نتعرض لها .

١ - فهم العمل الرسالي فهماً خاطئاً

ينتمي بعض العاملين الى الكيان الرسالي ، ضمن قناعات فكرية موجودة لديهم ، ويفهمون الكيان الرسالي ضمن خلفياتهم السابقة ، بل أحياناً يحورون أهداف الكيان وتطلعاته الى أهدافهم .

فالبعض قد يجد فيه وسيلة لهداية (الشاب الطائش) وجعلهم أفرادا متدينين ، وذلك عبر مجموعة كبيرة من الكتب ومجموعة أكبر من المحاضرات . وقد يكون هذا فعلاً أحد أهداف الكيان الرسالي ولكن هذا الفرد لأنه يعيش عقدة في هذا الاتجاه بحيث يتصور أن اصلاح الشباب الطائش هو كل شيء . . لذلك يفهم الكيان الرسالي على أنه (مكتبة اسلامية) أو (دار توزيع الأشرطة الدينية) وفيها شباب متحمسون وهو واحد من

هؤلاء . . . وهذا الفرد لا بد أن يصطدم يوماً ما بحقيقة الكيان وأنه امتداد لعمل الأنبياء والرسل ، ويهدف الى التغيير الشامل في المجتمع وبالتالي يطلب منه تضحيات أكبر لا يستطيع تقديمها لأنه كان قد أعد نفسه وانتمى على أساس تضحيات بسيطة ستطلب منه فلا يجد مناصا من التخلي عن إنتمائه . والسبب فهمه الخاطىء للكيان .

أوَ قد يفهم البعض الكيان على أساس أنه التفاف حول شخص معين ، وتقديس لهذا الشخص باعتقاده قائداً ـ مثلاً ـ ولا يتصوّر أن في الأمر أبعد من هذا وبالتالي فهو صراع إجتماعي بين مجموعتين . وهؤلاء الأشخاص معرضون في أول تطور الى أن يتخلوا عن انتمائهم ، لأن تقديس الأشخاص ينسي الانسان القيم ويجره الى الصنمية التي يرفضها الكيان بشدة .

وقد ينتمي الأشخاص الى كيان عامل ليحصلوا على الغنم والربح بل ربما يتصورون انفسهم وزراء أو مدراء ، (ويقسمون البقرة فيما بينهم قبل ذبحها) . . وحين يرون الطريق صعباً ، والهدف بعيداً ، يتركون

الكيان وشأنه كما فعل بعض الأفراد من الذين ساروا مع الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة المكرمة وانسحبوا في الطريق . . الواحد بعد الآخر بعد أن تبين لهم أن الشهادة أقرب من النصر .

وقد يحدث سوء فهم من قبل الفرد العامل لمواقف الكيان وخططه العملية ، فيبدأ (ترمومتر) انتمائه بالعد التنازلي ينتهي به الى الصفر أحياناً .

وسبب سوء الفهم هذا أحد امور كثيرة ، فقد لا يمكن توضيح كل شيء لهذا الفرد بالذات وذلك نظرا لمستواه المنخفض مثلاً ، أو عدم ادراكه لقيمة ما يعطى اليه من اسرار ، ولأن انجاز العمل الأسمي أهم من شعور الأفراد ، وأقدس من عواطفهم وتأثيراتهم و(ما كل ما يعلم يقال)[1] .

وقد يصاب الفرد بعقدة تجاه فكرة معينة أو شخص معين،وتكون هذه العقدة مدخلاً للشيطان الذي يزين له

---

(١) جاء في وصية الامام الكاظم الى هشام بن الحكم : هنا اشكال من حيث عدم ذكر بيعه في الوصية .

استمرار الانخفاض ولن يعدم تبريرات وأدلة شرعية تحت عنوان الأمر بالمعروف تارة وانكار المنكر أخرى وتصحيح (انحرافات) الكيان ثالثة وهكذا . . يبدأ يهون عليه العظيم والكبير من الأعمال والخدمات والكثير من التضحيات التي يقدمها الكيان وافراده بينما يبدأ بتجميع الأمور فسلبية من هنا ، وصغيرة من هناك . . . ويحاول أن يجمع أصحاب الاتجاهات السلبية داخل الكيان ، لكي يكون بهم تكتلاً جديداً ويصدر منشورات أو بيانات حول الأخطاء . . . وفي نفس الوقت لا يقوم بعمل ايجابي لأنه حينئذ خاضع دون ان يدري للشيطان ، والشيطان لا يوجه للأعمال الايجابية النافعة بل الى الهدم والتدمير .

ولو فكر هذا الفرد قليلاً وطرد عنه الشيطان ، واستعاذ بالله منه ثم بدأ بتحليل المسألة بعيداً عن العقد والمواقف المسبقة واستعلم عن القضية ، وطلب توضيح المسألة لجاءه الجواب بينما الأسلوب الذي يتخذه البعض اسلوب خاطيء ذلك الذي يقوم على أن الكيان مذنب حتى تثبت براءته ومشكوك حتى تثبت نقاوته .

فلو سأل الفرد نفسه . . لماذا أصبح هذا الكيان متهماً في الوقت الحاضر بينما كان طوال الفترة الماضية التي ربما امتدت لسنين ـ واثقاً منه ومخلصاً له ؟

ولماذا انتبه حديثاً الى أن هناك صفات وأخطاء متفرقة ومبعثرة ، عليه أن يجمعها ليدعم موقفه ؟ وهكذا تتعاقب الأسئلة لتشير الى دور الشيطان في المسألة .

وهكذا . .

قد ينسى بعض الأفراد انتماءهم المقدس الى الرسالة بسبب عدم فهمه فهماً صحيحاً أو لعدم فهم بعض اعماله . . هذا هو السبب الأول .

٢ ـ اليأس من التغيير

هناك أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) توضح أن قضية الثورة والعمل في سبيل الله أمر صعب ، ولا يستطيع عمله والاستقامة عليه إلا الأفراد المؤمنون حقاً ، وأما غيرهم فإنهم يتساقطون في مراحل الطريق الكثيرة .

فعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال :

(ان أمـرنـا صعب مستصعب ، لا يحتمله إلا نـبي مـرسـل أو وصي مقـرب أو رجـل امتحن الله قلبـه للإيمـان). (. . إيـاك أن تغلب الحكمـة وتضيعهـا في الجهالة قال هشام : فإن وجدت رجلاً طالباً غير عقله لا يتسـع لضبط مـا القي اليـه ؟ فقـال الامـام : فتلطف في النصيحـة فإن ضـاق قلبه فـلا تعرضن نفسـك للفتنـة) تحف العقول ص ٩٢٤ .

ذلـك أن الفرد يتعـرض لظروف قـاسيـة لا تسـير في مصلحتـه بقـدر مـا تسـير ضـده وعليـه أن يقـاومهـا ويتحـداها ، لكي يستـطيع الصمـود أولاً أمـامهـا ، ثم يشرع العمل في الإتجاه المضاد نحو تطويع هذه الظروف وفقاً لخطته .

فمن ناحية مؤامرات السلطة وتهديـدها الـدائم له أو للعمـل وامكانيـة تعرضـه للإعتقـال أو التشريـد ، ومن جهـة أخرى فـإن المجتمع لا يـرحب بعمله بل يبـدأ في اتهامه وأحيـاناً التشهـير به ، فضـلاً عن عدم التجـاوب معه .

وأهم من ذلك فالطريق طويل .. طويل ونتائج عمل الإنسان المؤمن في تغيير المجتمع لا تظهر بين عشية وضحاها ، فقد يقضي هذا الانسان عمره بكامله دون أن يحصل على نتيجة عمله لأن هذه النتيجة سوف تكون للأجيال الآتية .

لهذا كله تنشأ فكرة اليأس ولا جدوائية العمل ، واليأس من روح الله ... تلك الفكرة الخبيثة التي تنخر في الفرد ، فتحوله الى هيكل لا روح فيه . هذه الفكرة التي لا يحملها الا القوم الكافرون بقدرة الله ، الذين اعمى عيونهم الظرف السيء الذي تعيشه الأمة .. إن القرآن يتحدث عن اليائسين فيقول ﴿ إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ ، وذلك لأن هؤلاء يكفرون بالله في اعظم صفاته وابرزها وهي صفة القدرة على كل شيء .

هذه الصفة : اليأس من التغيير تجعل الفرد العامل يشكك في جدوائية ونفع العمل الذي يقوم به ، وفي امكانية وصوله الى الأهداف التي رسمها وبالتالي يؤدي الى أنه يرى أن انتماءه للكيان الرسالي انتماء فارغ لا

معنى له فيترك العمل .

إنْ هؤلاء الأفراد الذين يفكرون في الربح السريع والنصر (الكيمياوي) الذي ينتج عناصر الى أخرى في معادلة كيمياوية سريعة . ينسون أن قضية المؤمن هي أن يعمل في سبيل الله سواء تحقق النصر له أم لم يتحقق فعمله في سبيل الله طريقه الى الجنة ورضوان الله ، وينسون أيضاً أن النصر انما هو ابن الاستقامة ﴿ وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءا غدقاً ﴾ ويتجاهلون أن المؤمن قد يمتحنه الله بطول المدة وصعوبة العمل وانعدام النتيجة لكي يعرفه مقدار إيمانه بالله . هؤلاء الأفراد يغرب عن بالهم تاريخ الأنبياء والمرسلين ، وما لا قوة من تكذيب وتعذيب وقتل حتى استطاعوا تغيير مجتمعاتهم في بعض فترات التاريخ ، بينما لم تستجب بعض المجتمعات الأخرى بعد سنوات طويلة من الدعوة والعمل .

فالنبي نوح (عليه السلام) كما يقول عنه القرآن الكريم ﴿ فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً ثم أخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ تسعمائة وخمسون سنة

من التبليغ والجهاد ومـع ذلك فلم يؤمن بـه إلا ثمانـون رجلاً فقط . . كما في الروايات [1] .

ونبي الله صـالح (عليـه السـلام) دعـا قـومـه لمـدة (١٠٦) سنـوات متواصلة لـلإيمان بـالله وتوحيـده ومـع ذلـك لم يؤمنوا وحتى عنـدما جـاء لهم بالنـاقـة المعجـزة نراهم قد ﴿ كذبوه فعقروها ﴾ .

ونبي الله ابراهيم مائة سنة . . .

وكثير من الرسل قد قتلوا ، بل نشر بعضهم بالمناشير وغلى البعض الآخر في القدور . . .

كل هذه الأمور ينساها أولئك الأفراد الذين ينتـظرون النتـائـج السـريعـة ، ولا يملكـون (نفسـا) طـويـلاً في العمل . مما يجعل انتماءهم الى كيـانهم الرسـالي العامـل انتماء ضعيفاً وهشاً ومهددا بالدمار بعد فترة من الزمن ، وهذا هو السبب الثاني اليأس .

---

(١) الأنبياء حياتهم وقصصهم .

٣ ـ اغراء الدنيا

يقبل الفرد على اعتاب الشباب ، ويتفتح عقله لكي يرى الحياة وفي هذه الفترة يختار طريقة في حياته الآتية :

فالبعض يبدؤون بتخطيط حياتهم القادمة ، ويهيؤون انفسهم لها منذ الآن والتفكير في الدراسة الجامعية التي تعطي الشهادة الأفضل ويكون هذا هو همهم الوحيد .

غير أن البعض الآخر يمن الله عليهم بالهداية ، والبصيرة فيكون تفكيرهم أوسع وأفقهم ارحب ، وهذا الصنف من الناس هم الذين يفكرون في التغيير ، وبالتالي الانتماء الى كيان رسالي عامل .

عندما يغرس حب الله والعمل لأجل عباده في نفوس هؤلاء تزول بالتدريج اهتماماتهم الدنيوية والشخصية ، ويبيعون انفسهم مقابل جنة الله .

ولهذا يسيرون في هذا الاتجاه بينما يسير غيرهم باتجاه تأمين الأهداف البسيطة كالراتب والعمل والمسكن وما أشبه . ويتقدم كل منهم في مجاله ، فالرساليون يتقدمون

خطوات كبيرة الى رضى الله سبحانه وتعالى . وخطوات أكبـر في فهم الحيـاة وفهم واقعهم . . بينـما يتـقـدم زملاؤهم ممن اختاروا طريق الدنيا في مجال توفير الأموال وتهيئة المسكن الفخم والوسيلة المريحة فكلا الطرفين يتقدمان في مجالها غير أن الفرق هو أن التقدم في الأول لا بريق ظاهر فيه ، ولا ضوضاء ولا صخب ، بينما في الثاني ترى الأبهة ، والصخب والمظاهر الخلابة .

وهنا تنكسر السفينة الضعيفة . . هنا بالذات ، يتغير ضعاف الايمان ، ويتمنون أن لو سلكوا طريق زملائهم لكانوا اليوم في وضع آخر .

والقرآن الكريم يتحدث عن قصة قارون صاحب الأموال والذهب والترف الى أذنيه ويعكس صورة ضعاف الايمان المنبهرين امام زخرف الحياة وزبرجها وفي المقابل يعني الذين أوتوا الوعي والعلم .

﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم واتيناه من الكنوز ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ في ما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا

وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين ، قال انما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعاً ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ، انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون﴾[1] .

وهؤلاء ليسوا قليلين . . فنحن نسمع في كل يوم ان الرفيق الماركسي (الكذائي) قد ترك جبهته (التقدمية الثورية) والتحق بالحكومة (الرجعية) سابقاً ، وأن بعضهم صار وزيراً أو مديراً أو مسؤولاً وهكذا . . بعض العاملين الاسلاميين من ضعاف الايمان .

إننا نرى ان اغراء المال والمنصب والحياة المترفة ، تسبب احياناً في فصم عرى انتماء الانسان الى كيانه العامل . . ولكن هل تأثير هذه حتمي ؟

---

(١) القصص آية / ٧٧ ـ ٨١ .

بالطبع لا . . فنحن قلنا سابقا ان تأثير هذه الأمور انما هو على ضعاف النفوس والإيمان والإنتماء .

فالتاريخ أيضاً يسوق لنا قصصا مشرفة من نضال الرساليين الذين فضلوا انتماءهم على كل شيء . . هذا هو أبو ذر الغفاري ثائر المحرومين ، يأتيه عبد مملوك لعثمان بن عفان أيام خلافته ، ومعه صرة من المال فيرميها اليه فيسأله ابو ذر :

ـ ما هذا ؟ فيجيب صرة مال من الخليفة .

ـ وهل أعطى المسلمين مثلها ؟ كلا . . انما هي لك خاصة .

ـ اذهب بها اليه فلا حاجة لي فيها .

ـ يا أبا ذر ان في قبولك اياها عتقي . .

ـ ولكن في ذلك رقي(١) .

فهو قد رفض المال لان فيها رقه واستعباده ، واحتمال شراء بعض مواقفه المعارضة او تخفيض علاقاته

---

(١) استعبادي .

بكيانه الرسالي وهـو بهذا العمـل قد وقف مـوقفا مشـرفا يفضـح جميـع المستسلمين والخـاضعـين لـلظروف الضاغطة .

وهذا أبو الاسود الدؤ لي صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، يحاول معاوية معه منذ زمن ليستميله اليه ، ويكسر انتماءه لكيـانه ولقـائده ، فـذات مرة جـاء رسول معـاوية الى بيت ابي الاسـود بطبق من الحلوى العسليـة المـوشى بالـزعفران وكـانت لـه رائحـة طيبـة وعـطرة ، واستلمت الطبق ابنته ، وقبل أن يصل أكلت منـه قليلا لتتذوق ، حينئذ فاجأها أبوها بقوله انه من معـاوية لكي يغوينا عن ولايـة علي (عليـه السلام) فبهتت وعـالجت نفسها حتى تقيأت مـا اكلته . .. وانشـدت هذين البيتـين يكشفان عن انتمائها لرسالتها .

أبـا لشهـد المـزعفـر يـا ابن هنـد
نـبيـع عـليـك احسـابـا وديـنـا
مـعـاذ الله كـيـف يـكـون هـذا
ومـولانـا امـير المـؤمـنـيـنـا

واخيراً إن تأثير المال لا يخدع ولا يسيطر الا على ضعاف النفوس او ضعاف الايمان .

٤ ـ ضغوط السلطة

لا تنفك سلطات الطاغوت تسعى جاهدة لكي تقوض العمل الرسالي الذي يهدد وجودها بنشاطه واستقطابه للجماهير المحرومة . وهي لهذا الغرض تستخدم كافة الوسائل والاساليب التي تستطيعها لتحقيق هذا الهدف فتارة تقوم بالاغتيالات للعناصر المؤمنة الفاعلة ، واخرى تشردهم وتبعدهم خارج البلاد وبعيدا عن بحر جماهيرهم . . وثالثة تزجهم في السجون لإجراء عملية غسيل دماغهم وتغيير قناعاتهم ـ كما تتصور ـ .

وذلك انه في نظرهم سوف يكسبهم ربحا مضاعفا فمن جهة قد تخلصوا من عمل الفرد هذا المضاد لهم ومن جهة اخرى إذا استطاعوا تغييره فقد حصلوا على جندي جديد عارف بوسائل الحركات المعارضة .

إننا نلاحظ في التاريخ ، وفي احوال العاملين ان اغراء الدنيا واموالها وزخرفها كانت السبب في انحراف

البعض من العاملين . . وإن بريق (البيضاء والصفراء) كان عاملا مهما في انقيادهم للشيطان وتخليهم عن كيانهم الرسالي .

فهـذا علي بن ابي حمـزة البطائني وكـان وكيلا لـلإمام الكاظم (عليه السـلام) وهو لا يصـل الى هذه الـرتبـة الا بعد خدمته الطويلة للكيان الذي ينتمي اليـه ، وهذا الرجل قد نجح في الكثير من الامتحانات وتجاوز الكثـير من العقبـات ولكنـه فشـل وتهـاوى أمـام اغـراء المـال والـدنيا . . فبعـد وفاة الامـام الكاظم (عليـه السلام) كان عليه ان يسلم الاموال والأخماس الموجودة عنـده الى الإمام الرضا (عليه السلام) ليرى رأيه فيها . .

غـير أنه كـان اضعف من مقاومـة اغراء المـال وبريق الـذهب ولم يصمـد انتمـاؤه امـام تـزيـين الشيـطان لـه بمصـادرة الامـوال حتى اخـرجـه هـذا العمـل من سلك المؤمنين . . وفعلا فقد رفض تسليم الاموال التي في يده بل زاده الشيطان خطوات اخرى في الانحراف حتى زين له تشكيل مذهب جديد لتبرير امتلاكه للاموال . .

والتـاريـخ الحـديث ايضـاً . . فقسم من الأفـراد

الرساليين الذين كانوا يعدون زهرة العمل وشمعته تغلبت عليهم ظروف حياتهم وإغراءات الدنيا والوظيفة ومن جهة اخرى ساعدت ضغوط الزوجة والاولاد الذين قد لا يفهمون قيمة العمل وقدسيته فسلبت منهم افضل ما يمتلكون وذلك هو الانتماء المقدس . .

ولقد عرفت السلطات الطاغوتية كيف تعزف على الوتر لدى المعارضين من جهة ومن جهة اخرى فإنهم ينتظرون تأثيرهم السلبي في روح الجماهير التي ستدهش لتراجع واستسلام هذا الفرد بعد سنين النضال .

ان السجن بقدر ما كان مدرسة تربوية (للرجال) تعلموا فيها الصمود والمقاومة وأتيح لهم فيه التفكير الجدي في طريق العمل ، والاختلاء الرائع بخالقهم وبارئهم سبحانه وتعالى بنفس المقدار كان منعطفا خطراً الى الوراء بالنسبة الى (الصغار) الذين لم يتحملوا لبضعة ايام ان يكونوا بعيدين عن أحضان اهاليهم . . ولم يتحملوا لفترة بسيطة التعذيب الدنيوي ليبقوا مخلدين في العذاب الأخروي .

هؤلاء الافراد الذين من جهة تلهب السلطة

ظهورهم بالسياط ومن جهة اخرى في مكتب الضابط يدغدغ هذا احلامهم ، ويشفي جروحهم ببلاسم لا تلبث ان تنتهي في أول مواجهة للواقع يمنيهم بالحرية وبرؤية الأولاد والزوجة ، وبتوفير العمل ، وبالتمتع بالشباب ان قالوا بعض المعلومات (التي يؤكد لهم أنه يعرفها) ولا يدخر الشيطان جهداً في هذه القضية لكي يزين له ما قاله الشيطان الجالس على الكرسي .

وفعلا قد يستجيب هذا الفرد الضعيف لشيطانه ويتكلم بما لديه من معلومات وامور يعرفها ، ويكون فيها عادة دون أن يشعر الضربة القاضية للكثير من الافراد وربما الكيان المؤمن الذي كان يقدسه في السابق . .

هؤلاء الافراد الذين كانوا ـ يوما ـ يعملون لله ، ولكنهم سقطوا في مستنقع السجن ولم يستطيعوا الخروج من (لعنته) .

ان ناظرهم ليشفق عليهم فبعد ان كان يعيش الواحد منهم العزة في نفسه والوضوح في بصيرته . . فأين ذلك الحماس والاندفاع ؟ واين ذلك التطلع ؟ بل أين ذلك

الإنسـان السابق ؟ هـو قد تحـول الى آلة تـدور في حلقة مفـرغـة . . عمـل وزوجـة واكـل ونـوم ثم نـوم وأكـل وزوجة . . وهكذا تكر السبحة .

والـذي يزيـده ذبولاً هـو انه يعي ويعـرف ما قـدمت يداه ويفهم واقعه الحاضر .

وكـما أن بعض الافراد ينـزلقـون في مستنقـع السـلطة ويستجيبـون لضغوطهـا وينحنون أمـام تهديـداتها بقـطع رواتبهم أو فصلهم من عملهم وتضييق الحـيـاة عليـهم بمنع تشغيلهم في مؤسساتها التابعـة لها ، ومـلاحقتهم في اماكن عملهم خارج هذا الاطار . . كـما أن هذا النـوع موجود وقـد يتخلى احيـانا عن انتمـائه لـرسالتـه بعد أن تضيق به الحياة ويترك جهاده وزملاءه في الجهاد لتفضيله حياته الدنيوية وحفاظه على نفسه .

كـذلك هنـاك نوع آخـر يؤمن بأن (السجن أحب) اليه من تخليه عن رسـالته ، وخلوده في تعـذيب الطغـاة أفضـــل ـ في نـظره ـ من خلوده في عـــذاب الله المقيم ، هؤلاء يجعلون انتـمـاءهـم الـرســالي في رأس قـــائمــة

اهتماماتهم وتستطيع أن تفعل كل شيء بهم الا أن تمس انتماءهم المقدس بسوء .

ولقد باءت محاولات الطغاة بالفشل في هذا المجال .

والتاريخ افضل شاهد ، أن معاوية قد بذل مقدار جهده لكي يكسب شيعة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أو أن يسلبهم انتماءهم لرسالتهم بالسجن تارة وبالحرمان من العطاء أخرى وبهدم بيوتهم الثالثة . . غير أنه لم يستطع أن يغير قلب مؤمن ، ولم يخدش مقدار ذرة في انتمائهم وارتباطهم بتحركهم وتجمعهم .

هذه الاسباب الاربعة من العوامل التي تؤثر في ارتباط الافراد بحركتهم الرسالية العاملة ، وهي كما قلت ليست حتمية التأثير فارادة الإنسان تستطيع أن تتغلب على كل هذه الامور وأن تجعلها عديمة التأثير بل تجعلها تؤثر عكسياً احياناً فتزيد المؤمن ايماناً والعامل تحركاً . . وهكذا .

وان الله سبحانه وتعالى في يوم القيامة ليحاسب الافراد حسابا عسيرا ، وبالذات الواعين والعاملين لقد جاء في حديث يقول :

(الناس كلهم هالكون الا العالمون ، والعالمون هالكون الا العاملون ، والعاملون كلهم هالكون الا المخلصون ، والمخلصون في خطر عظيم) .

ان امام العاملين حسابا عسيرا ان هم قصروا في أعمالهم أو اثروا سلبيا على التحرك فكيف اذا كان هذا على صورة التخلي عن الكيان الرسالي العامل وفصم عرى الانتماء ؟ ولا ينفع التبرير مع الله العليم بما في الصدور فالله سبحانه يحتج على الافراد السلبيين وتاركي الجهاد والمتنكرين للانتماء المقدس ، انه يحتج عليهم بنظرائهم واقرانهم في التاريخ القديم او العصر الحاضر فكم من الافراد حصلت لديهم اشكالات على العمل جملة وتفصيلاً في أحيان كثيرة ، ولكنهم اتخذوا موقفا طبيعياً وهو الاستسلام ومحاولة الاصلاح ان تبين الخطأ . . وكم من الافراد أصيبوا باليأس والقنوط والاحباط النفسي ، ولكنهم لم يتركوا هذا يؤثر على انتمائهم الرسالي بل كانت هذه الحالات سحابة صيف عما قريب تقشعت ، وانتهت الى غير رجعة ليحل محلها الأمل والتفاؤل والثقة بالله سبحانه والتوكل عليه . .

وكم منهم تعرضوا لاغراء الدنيا وضغوط السلطة وكان في الحالتين ضغط كبير يجذبهم نحو الاسفل والادنى ويحاول اثقالهم باغلال الأرض والتراب ولكنهم استنقذوا انفسهم منه واستطاعوا ان يتساموا فوقه وأن يحلقوا الى رحب المثل والقيم السماوية .

إن هؤلاء كثيرون . . وان الله سبحانه يستطيع الاحتجاج على الفرد المنهزم والسلبي بهم في يوم القيامة .

ان المعادن عندما تسلط عليها النار يكون لها أحد حالتين فاذا كان المعدن خالصا كالذهب فان النار لا تزيده الا بريقا وصفاء ونقاء ، أما اذا كان ضعيفاً أو غير خالص أو مغشوش فان النار تحميه ، والعاملون هم كذلك فالافراد المؤمنين حقيقة المخلصون بصدق لا يزيدهم السجن الا يقينا في عملهم ، والتعذيب الا اصرارا على مواقفهم المبدئية . أما ضعيفوا الايمان الذين التحقوا بالركب الرسالي وليسوا أهلا له ، فإن ضغط السلطات ومضايقتها تجعلهم يتهشمون وينهزمون وبهذا جاء حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) حيث

يقول في مضمون الحديث : ـ

شيعتنا ثلاثة :

فقسم يستأكلون بنا .

وقسم كالذهب المصفى كلما زدت عليه النار زاد نقاء .

وقسم كالزجاج يتهشم .

انه من القسم الثاني (محمد بن أبي عمير) أحد قادة الحركة الرسالية في عهد الإمام الصادق (عليه السلام) قبض عليه من قبل السلطة العباسية لنشاطه الكثير وقذف في السجن ثم أحضر للتحقيق معه ، ولاجباره على الاعتراف ، وفعلا أحضر الرجل المجاهد وسأله الجلاد :

ـ قل لنا من تعرف من شيعة الكوفة ممن يردون على جعفر بن محمد ؟

. . ومرة أخرى يرد عليه السؤال فيجيبهم بالصمت .

ـ اجلدوه مئة سوط . .

وبدأت (حفلة) التعذيب . . مئة سوط تبدأ العشر الأولى وهو صامد ولا يبدي كلمة واحدة .

في نفس اللحظة يعالج حتى يفيق من اغمائه ويعاد عليه بالسؤال السابق ، ويجيبهم أيضاً بالصمت ، فالمؤمن لا يترك مبادئه ، ولا يفصم انتماءه لرسالته خضوعا لضغط السلطة أو تعذيبها .

ومرة أخرى . .

أجلدوه مئة أخرى حتى يعتبر منه غيره

وتبدأ فعلاً الاسواط الحاقدة تنهال بكل عنف وشدة على جسمه ويغمى عليه ، بعد أن تحول جسمه الى كتلة من الدماء والجلد المشوه بالضرب . . ومرة ثالثة يغمى عليه ليعالج ويفيق وفي المرة الثالثة يسأل عن رأيه في افشاء اسماء زملائه في العمل والجهاد غير أنه يجيبهم قائلا :

ـ والله لو كانوا تحت رجلي ما رفعتها عنهم ، كيف واسماؤهم في قلبي . . وهكذا رفض بكل قوة بينما أن الضرب والتعذيب مهما اشتد فانه لا يمكن أن ينال من

عـزيمـة المؤمن وصمـوده فعـلا عن انتمـائـه وارتبـاطـه بمجموعة العمل المجاهدة التي هو جزء منها .

وهذه القضايا ليست محدوده بالتاريخ الماضي فقط بل انها اليوم تتكرر ففي عالمنا الإسلامي الثائر ها هم أحفاد محمد بن عمير يعيدون تاريخه من جديد فيعذب الـواحد منهم في السجن بـالمكوى الكهـربائي ويثقب جسمـه في عـدة نواحي بـالثقاب الكهـربائي ويضـرب حتى يمـوت ولكنـه يـرفض أن يعتـرف بشيء ويغلق قلبـه عــلى كـل اسراره عن عمله الرسالي وعن زملائه ، مهما كانت هذه الاسرار صغيرة وغير مهمة ولكنه لا يعطيهم من نفسه .

هذا هو التاريخ يعيد نفسه ويعود محمد بن أبي عمـير في صورة هؤلاء الشهداء المؤمنين .

فضغوط السلطة لا تؤثر إلا في انتماء (الصغار) كـما قلت ولا تفصم الا ايمان الضعـ ف . . . وهي ان عـدت سبباً فإنما بالنسبة لهؤلاء .

الفصل الثالث
اساليب الحركة الرسالية

اساليب الحركة الرسالية

اسلوبان . .

ونوعان من الكلام نلاحظهما في توجيهات الأئمة (عليهم السلام) لأصحابهم وكوادرهم الرساليين .

والملفت للنظر أن هذين الاسلوبين ، يتناقضان لمن ينظر أول نظرة. ولا يلتقيان في طريق واحد، والذي يزيد الأمر غرابة أن ظرف التوجيه قد يكون واحداً أو قريباً منه .

الأول : يحرص الأئمة من خلال توجيهاتهم لأصحابهم أن يكونوا الشخصية الاجتماعية البارزة على صعيد أحداث المجتمع والمتفاعلة مع الجماهير . . والفرد الظاهر الذي يشار اليه بالبنان ويكون ملتقى حاجات السائلين ، وحلال مشكلاتهم ، والعالم الواعي

الـذي اذا جلس للدرس والتدريس غصت حلقـة درسه بالمريدين وطلبة العلم ، واذا كـان في مدينـة توافـد اليها الناس من سائر المدن لينتهلوا من معين علمه .

الثاني : توجيه الكادر الى أن يكون مغيباً عن الأنـظار ومتوارياً عن الناس ، بل ومستوحشاً منهم وأن يعيش في أماكن بعيدة عن العمـران عند رؤ وس الجبـال وأطراف المدن وأن يكيف حياته بشكل معـين حتى لا يعرف بـين الجماهير ولا بد أن يصبح (نكرة) مجهولة .

وقبل أن نجيب على هـذه الظاهـرة ونتحدث عنهـا لا بـد من ايراد بعض النمـاذج من الأحاديث عـلى ما ذكـر لنكون في الصورة بشكل أفضل . .

المجموعة الأولى :

تتحـدث عن الشخصية الاجتمـاعية المـطلوبة التي لا مانع من أن تمـارس الدور الاعتيـادي في المجتمع ، وأن تكون ظاهرة العمل والتحرك بل حتى لـو كانت معـروفة بالانتماء الى كيان الرسـالة وسـوف يأتي الحـديث مفصلاً

عن هذا الموضوع بعد استعراض الأحاديث الواردة حوله فهيا : ـ عزيزي القاريء ـ لكي نتدبر في الأحاديث هذه :

١ ـ عن محمد بن عجلان .. قال : كنت مع أبي عبد الله فدخل رجل فسلم ، فسأله كيف من خلفت من أخوانك ، فأحسن الثناء وزكى وأطرى .

فقال له الامام الصادق : كيف عيادة اغنيائهم لفقرائهم ؟

فقال الرجل : قليلة .

فسأله الامام : كيف مواصلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم (بالمال) ؟ .

فأجاب الرجل : أنك تذكر أخلاقاً ما هي فيمن عندنا !!

فقال الإمام : فكيف يزعم هؤلاء انهم لنا شيعة ؟[1].

---

(١) صفات الشيعة للصدوق .

٢ ـ عن جابر الجعفي قال . . قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) : (يا جابر يكتفي من اتخذ التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت فوالله ما شيعتنا الا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون الا بالتواضع والتخشع وأداء الامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر والتقوى والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء[١].

٣ ـ عن عبد الله بن سنان قال سمعت ابا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول :

(اوصيكم عباد الله بتقوى الله ولا تحملوا الناس على اكتافهم فتذلوا ، ان الله عز وجل يقول في كتابه (قولوا للناس حسنا ، عودوا مرضاهم واشهدوا جنائزهم واشهدوا لهم وعليهم وصلوا معهم في مساجدهم واقضوا حقوقهم).

٤ ـ في وصيته لبعض اصحابه قال الامام الصادق (عليه السلام) :

---

(١) صفات الشيعة الصدوق .

(عليكم بتقوى الله وصدق الحديث واداء الأمانة لمن صحبكم وافشاء السلام واطعام الطعام ، صلوا في مساجدهم ، وعودوا مرضاهم ، واتبعوا جنائزهم فان ابي حدثني ان شيعتنا اهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم ، ان كان فقيه كان منهم وان كان مؤذن كان منهم ، وان كان صاحب وديعة كان منهم ، وكذلك كونوا ، حببونا الى الناس ولا تبغضونا اليهم .

هذه بعض النماذج عن النوع الاول الذي يوجه اليه قادتنا (عليهم السلام) وهو نموذج الشخصية المعروفة اجتماعياً والعاملة بواسطة هذه الطريقة .

المجموعة الثانية :

وتحدد صفات مجموعة من الثائرين الذين لا يستطيعون الظهور الاجتماعي ويجب ان يعرفوا وان لا يشتهروا في المجتمع ذلك لأن هذا يعني نهايتهم .

١ ـ عن مهزم قال دخلت على الصادق (عليه السلام) فذكرت الشيعة فقال :

(يا مهزم انما الشيعة من لا يعدو صوته ولا شجنه

(حزنه) بدنه ولا يحب لنا مبغضاً ولا يبغض لنا محباً ولا يجالس لنا غالياً ولا يهر هرير الكلب ولا يطمع طمع الغراب ولا يسأل الناس وان مات جوعاً ، المتنحي عن الناس ، الخفي عليهم وان اختلفت بهم الدار لم تختلف اقاويلهم ، ان غابوا لم يفقدوا وان حضروا لم يؤبه لهم ، وان خطبوا لم يزوجوا يخرجون من الدنيا وحوائجهم في صدورهم . .).

وفي رواية اخرى يقول مهزم فسألته : جعلت فداك فأين اطلب هؤلاء:

قال : (هؤلاء اطلبهم في اطراف الأرض اولئك الخفيض عيشهم المتنقلة ديارهم)[1].

٢ ـ دخل على الصادق بعض اصحابه فقال للامام(عليه السلام) .

ـ جعلت فداك اني احبك واحب من يحبك يا سيدي ما اكثر شيعتكم ؟ .

---

(١) صفات الشيعة .

ـ فقال الامام : اذكرهم فقال الرجل كثير . . فقال الإمام اما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون (التحرك) ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته . . .[1] .

وساق الحديث الذي يشبه الحديث السابق لفظاً .

٣ ـ عن ابي بصير قال : قلت لابي عبد الله : يا ابا عبد الله صف لي شيعتك : فقال :

شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه ولا شحناؤه بدنه ولا يطرح كله على غيره ، شيعتنا الخفيفة عيشتهم المتنقلة دارهم . .) .

٤ ـ عن المفضل بن قيس ان الإمام الصادق (عليه السلام) سأله : كم شيعتنا في الكوفة ؟ .

فقلت : خمسون الفاً . . فما زال يقول (يكرر السؤال كأنه لم يرض بالاجابة) حتى قال : اترجو ان يكونوا عشرين ؟ ثم قال والله لوددت ان يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلاً يعرفون امرنا الذي نحن عليه ولا يقولون علينا الا الحق) .

---

(١) صفات الشيعة .

يلاحظ في هذه المجموعة الثانية انها تطرح شخصاً آخر لا يسكن في مكان مستقر بل ان عيشته متنقلة وحياته غير مستقرة وتطرح ان سريته في القمة فلا يعدو صوته اذنه ولا يتجاوزها ومن صفاتهم الرئيسة انهم يعرفون هذا (الامر) . . وهكذا .

بعد هذه النماذج من الأحاديث التي اخترناها لتوضيح اسلوبي الائمة المختلفين في التوجيه ، لنتحدث بشكل من التفصيل .

مما سبق يتبين كم هو التعارض بين النوعين ، وطريقتي التوجيه وعند النظر الاولي لها نجد ان هناك تعارضاً كبيراً فيلجأ البعض من الدارسين الى توجيه ذلك بتضعيف سند بعض الروايات وجبر بعضها الآخر . . وهكذا يحل المشكلة !!.

ان الذي لا يعرف طريقة عمل الائمة (عليهم السلام) وتحركهم يبقى مصفداً باغلال حيرته امام مثل هذه المسألة .

ان الكاتب أو الباحث الذي يرى أن الائمة لم يكن

لهم هم بالسياسة وانهم انصرفوا عنها الى الزهد والعبادة والاشتغال بالدين ، لا يستطيع أن يرفع علامة الاستفهام وحتى لو استطاع أن يخرج من حيرته لكي يفسر النوع الأول فانه يرتطم بالثاني وهكذا . .

إن وضع المسألة ضمن اطار الحركة الاسلامية التصحيحية التي قادها الائمة (عليهم السلام) والتنظيم الذي كان يهدف الى اسقاط الحكومات المتسلطة واقامة حكم الله . . . هو وحده الذي يحل اللغز .

هذا التنظيم والحركة التي قادها الائمة (عليهم السلام) وطبيعة المراحل المتغيرة والأدوار المختلفة التي أوكلت لأفراد هذه الحركة وقيادييها هي التي تفرض نوعاً معيناً أو اكثر من التوجيه لأفراد هذا الكيان .

ان الأئمة كانوا يوجهون الأفراد كل حسب موقعه الى دورين :

١ ـ الدور الاجتماعي العلني .
٢ ـ الدور السري الجذري .

وسوف نتحدث عن كل دور منهما ، ولماذا ، وما هي متطلباته .

الدور الاجتماعي

إن أي كيان معارض يجب ان لا ينغلق على نفسه في (قمقم) التنظيم ، ويحصر افكاره بين النخبة التي انتمت الى هذا الكيان عمليا ، فالافكار الثورية التي يحملها هذا الكيان المعارض لا بد ان تنتشر بين الجماهير لكي تشكل وتصوغ عقليتها وتتحرك من خلالها .

فالكيان الثوري بحاجة الى تكوين (تيار ثوري) تجري افكاره ، وتنتقل في صفوف الجماهير ، وهذا التيار يكون بمثابة البحر الذي يسبح فيه أفراد الكيان .

وكذلك نجد ان الكيانات الثورية تسعى أول ما تسعى لطرح افكارها وشعاراتها لكي تتداولها الجماهير وتتأثر بها وتتفاعل معها .

ان الحركات والتنظيمات المختلفة التي انحصرت في

(نخبة) معينة من المثقفين البعيدين عن بحر الجماهير الواسع او في فئة من العسكريين الذين يعيشون في اماكن مغلقة ويتحدثون عن وضع الجماهير البائس وهم أبعد الناس عن معاناة هذا الوضع . . . ان هذه التنظيمات محكوم عليها بالفشل سواء في تغيير الوضع او في تغييره الى الأفضل لصالح الناس .

وإن تجربة حركة مجاهدين خلق (مجاهدي الشعب) في ايران وغيرها من المنظمات الماركسية اثبتت عمليا صدق هذه المقولة فقد انتهت هذه الحركات يوم قررت الانفصال عن تيار الجماهير المتدفق ايمانا وثورة وحصرت كوادرها وعناصرها في زوايا بعيدة . . فعندما قررت ان تقتل المؤمنين الأبرياء في الساحات العامة والشوارع المزدحمة وعندها انتهت .

هذا عكس الحركة الملتصقة بالناس التي :

- تتحسس بوضع الناس من قرب وتشعر بمعاناتها يوميا وتتناول طعامها اليومي من الظلم والحرمان وهذا يزيدها حماسا واندفاعا لتغيير الوضع الفاسد .

ـ ثم انها تختبر مصداقية شعاراتها وأفكارها وحتى خططها من خلال معايشتها لجماهيرها فتعرف ما الذي يحركها وماذا يوقفها ،أي أسلوب أفضل ؟ و (من أين تؤكل الكتف) كما يقول المثل .

ـ كما انها تعرف اخطاءها من خلال التجربة مع الجماهير ولهذا فهي تدخل لأعماقهم ، ولا تبقى في بروج عاجية على اسس من الملح .

ان لنا في التاريخ لعبرة .

فالحركة الرسالية آنئذ التي كانت تمتلك تياراً جماهيريا واسعا ، استطاعت ان تقوم بالكثير من الأعمال محتمية بدرع المؤمنين ومختفية بينهم وأن كثيراً من ثوارها استطاعوا البقاء طويلا بين صفوفهم دون ان تكشفهم السلطة .

فحجر بن عدي الكندي استطاع ـ ولفترة غير قصيرة ـ ان يبقى متخفيا في بيوت الكوفة رغم شدة الارهاب وكثرة العيون والرصد .

ويحيى بن زيد ظل مختفيا كذلك في مدن ايران بين

الجماهير المؤمنة الى ان اكتشف امره .

وادريس بن عبدالله بن الحسن استطاع ان يقطع المسافة بين فخ (في الجزيرة العربية) وحتى المغرب في أقصى الغرب وهي تزيد على (٦) أشهر هاربا من مراقبة السلطة العباسية ، ومحتمياً بالمؤمنين حتى استطاع الوصول الى المغرب وتأسيس دولة الادارسة هناك .

وكذلك القاسم بن اسماعيل الحسني ايضاً ظل طول حياته مختفياً بين الجماهير حتى اختاره الله .

وحين تلتحم الحركة مع الجماهير المؤمنة فأن هذه الجماهير تظل تعطي وتعطي دون حساب وتقدم بمختلف الأعمال لحماية عناصر الرسالة والعمل . ففي ايران تجلى هذا واضحاً في ثورة الاسلام عندما التحم الجنود مع الجماهير وقامت الدولة بتتبعهم . . وكان ذلك سهلا لأن الجنود حليقو الرؤوس فما كان من الشباب المؤمن عموماً الا أن ازدحم على محلات الحلاقة ليخفي (الحليقين) الحقيقيين ويحمي الجنود الذين التحقوا بالشعب .

هذه الحركات بحاجة الى صنع افراد وشخصيات

اجتماعية يمثلون افكارها ويجسدونها في واقع الحياة الاجتماعية سواء كانوا علماء دين او شخصيات بارزة في المجتمع أو غير ذلك وهؤلاء لا بد لهم من صفات معينة هي التالية :

١ ـ عدم الظهور بمظهر التحدي للسلطة .

إن هذا الفرد وهو يعيش في وسط الجماهير ويعمل بينهم هو تحت عين السلطة باعتباره يقوم بأدوار اجتماعية ملحوظة وظاهرة ولأنه كذلك فيجب ان لا يعطي السلطة الظالمة أي مبرر أو دليل للقبض عليه وإعتقاله ، عليه أن لا يظهر كمن يتحدى السلطة مباشرة وبوضوح .

صحيح ان اعماله وتحركاته كلها تصب في قناة تحدي السلطة ولكن بصورة غير مباشرة .

وقد تحاول السلطات استفزاز هذا المؤمن وإيقاعه في فخ تكون قد اعدته له كأن تتخذ السلطة اجراءا عنيفا تجاه الجماهير وتضطره للرد عليه ، وإذا وقع هذا المؤمن في مثل هذا الفخ المنصوب فإنها تجد حينئذ المبرر لاعتقاله وسجنه وإبعاده من بين الجماهير . . ومن هنا

فإن على المؤمن الذي يمارس الدور الاجتماعي ان يكون منها حذرا ويتصرف بحكمة متناهية امام الأحداث وأن يكون دوره نابعاً من خطته لا انفعالاً من خدع السلطة وأحابيلها .

الامام الصادق يوصي أتباعه الذين عليهم القيام بهذا الدور ان يلتزموا بمظهر الفرد غير المتحدي للسلطة ظاهراً وان كان في الواقع يعمل لتقويض اسسها من الداخل .

(إذا كانت دولة الظلم فأمش واستقبل من تلتقيه بالتحية فإن المتعرض للدولة مهلك نفسه وموبقها . .)[1] .

غير ان هذا لا يعني عدم العمل والتوقف نهائيا عن التحرك الرسالي المضاد لدولة الظلم ، فممارسة التقية وعدم التعرض الظاهري والتحدي المعلن للسلطة انما هو من أجل متابعة العمل ، وكوسيلة للاستمرار فيه ،

---

(١) تحف العقول ص ٣٢٨

لا انه مبرر للسكوت والجمود وعدم التحرك .

فبإمكان الفرد أن يقوم بأعمال كثيرة تؤدي بالنتيجة الى تقويض السلطة دون أن يكون القيام بها تحدياً مباشراً وصريحاً ، ودون ان تستطيع السلطة ان تجد المبرر لاعتقال أو نفي أو قتل هذا الفرد . وفي تاريخنا الاسلامي نلاحظ وجود هذه الظواهر كثيراً ، فإن هشام بن الحكم (رضوان الله عليه) أحد صحابة الإمام الصادق (عليه السلام) كان يمارس هذا الدور ويقوم به خير قيام فقد كان يقصد المساجد والمجالس واماكن التجمعات الشعبية ويبدأ بالمناظرة والمناقشة مع الأفراد والعلماء المخالفين للخط الرسالي الصحيح ويتغلب عليهم بما اوتي من غزارة في العلم وقدرة على المناظرة .

وكانت المواضيع التي تطرح . في الاغلب ـ فكرية عقائدية ولكن ابعادها كانت تمتد الى النواحي الاخرى سياسية وغيرها فالحديث عن الإمامة والقيادة الاسلامية وضرورتها رغم انه يبدو في الظاهر فكريا وليس فيه هجوم على السلطة الحاكمة الا انه في النتيجة يؤدي الى حقيقة : ان هؤلاء الحكام والملوك غير شرعيين

وغاصبون لحق الامامة ، حتى لقد قال هارون الرشيد آنئذ (والله ان لسان هشام بن الحكم اشد عليّ من مائة الف سيف) .

وربما كانت حركة المناظرات وتوجيه الأئمة القادة اليها والتأكيد على اصحابهم القادرين ، الذين يعرفون حدودهم في المناظرة في ان يتوجهوا الى المساجد وغيرها تصب في هذا النوع من العمل .

٢ ـ القيام بأعمال اجتماعية تؤمن حاجات الناس :

إننا نعلم ان الجماهير المؤمنة في عهود السلطات الظالمة تفقد الكثير من حاجاتها ، ذلك لأن هذه السلطات تحاول الجمع لنفسها وللمرتبطين بها فتزداد ترفا وبطراً وفي نفس الوقت تزداد الجماهير حرمانا وفقرا .

فعلى سبيل المثال في الوقت الحاضر توجد بعض الدول الاسلامية وتعتبر من اغنى دول العالم ثروة ، وبالرغم من ذلك نرى سكانها، القلة يعيشون ـ اغلبهم ـ في ظروف بائسة ، وحالة معيشية منخفضة ، وترى

الواحد منهم يكدح طول يومه ، ولمدة سنين طويلة ومع ذلك لم يحصل على بعض حاجاته الضرورية والسبب في ذلك هو تركز الثروة بيد فئة خاصة ، وجماعة معينة وتداولها بينهم واسراف هذه الفئة وبطرها وترفها ، ومن الطبيعي انه (ما رأيت نعمة موفورة الا والى جانبها حق مضيع) .

إن طريقة الحل الجذري هي المجدية والنافعة كما هو معروف فلا بد من إزالة السلطة الظالمة السارقة لأموال الجماهير ، وإلاّ فإن الوضع يبقى هكذا .

غير انه كما نقوم بعملية اسقاط لا بد من التعويض .

ففي الوقت الذي تعاني الجماهير حرمانا اقتصادياً ، واستعباداً سياسيا . . فإنها تتوجه لتأمين احتياجاتها وربما تشغل هذه الاحتياجات تفكيرها فلا تفكر في غيره ، لذلك على الفرد الرسالي الذي يمارس الدور الاجتماعي ان يحل هذه المسألة فيقوم بأعمال اجتماعية عامة تستهدف الخدمة الجماهيرية : مؤسسات ، مشاريع الخدمة العامة ، وغيرها لتحقيق هدفين :

الأول : تأمين حاجات الجماهير من غير طريق السلطة الظالمة فإن الجماهير آنئذ لا تشغل فكرها بتأمين حاجاتها ما دامت موفرة ، ومن جهة اخرى تشعر ان السلطة لا ولن تقدم لها شيئاً فتبدأ بالاعتماد على ذاتها .

الثاني : استقطاب الجماهير ومنعها من التوجه الى السلطة وتوجيهها الى القادة المخلصين الذين يقدمون هذه الخدمات (قربة لله تعالى) .

ان القادة الرساليين كانوا يحرصون على تأمين هذا الجانب أيما حرص .

فالإمام الحسين (عليه السلام) يرى بعد شهادته اثر سواد على ظهره وكتفه فيسأل احد ابنائه عن هذا فيقول : ان هذا اثر ما كان يحمله الحسين (عليه السلام) على ظهره في الليالي المظلمة الى الفقراء والمساكين .

وابنه الإمام السجاد (عليه السلام) كان يعيل عدة مئات من العوائل الفقيرة التي لا والي لها ، دون ان تعرف عنه شيئاً حتى مات وقال احدهم ، ما عرفنا صدقة السر الا عندما مات علي بن الحسين

(عليهما السلام). فانقطعت عنا صدقة السر . والكاظم تضرب (الصرر) المالية التي يعطيها مثلا فيقال (صرار موسى بن جعفر) وهكذا بقية القادة .

بل كانت هذه الاعمال تفعل مفعولها في نفس الوقت حيث كان الطرف المقابل والذي لا يتوقع الاحسان الى هذا الحد ينكب على الامام ويقول : (الله اعلم حيث يجعل رسالته) .

وحاليا يلاحظ هذا ففي احدى الدول الاسلامية هذا المثال فحكومة تلك الدولة باعتبارها غير شرعية ولا شعبية لم تكن تقدم وتؤمن حاجات الجماهير لا المعنوية كالحرية وغيرها ولا المادية .

ففي مدينة يزيد عدد نفوسها من (٢٠٠) الف نسمة كان هناك مستشفى واحد فقط . . وخدماته سيئة وكانت الثقافة ممنوعة فلا مكتبات ولا توعية ، وكان احد العاملين المجاهدين في هذه المدينة فبدأ بالعمل في هذا الاطار : فقام ببناء مستشفى حديث خدماته جيدة ومجاني العلاج ، وقام بانشاء مكتبات ثابتة واخرى سيارة للقرى والارياف . . وغيرها من المشاريع .

وكم كـان التحول الجمـاهيري كبيراً، فلقد انهالت الجمـاهـير عـلى هـذه المؤسسـات حيث كـانت تعــرف اخـلاص القائمـين عليها ، وتـركت مؤسسـات السلطة التي لم تكن خـدماتهـا جيدة ولا اخـلاصهـا ، حتى لقـد خافت السلطة ان تنشأ دولة في داخل الدولة ! .

إن الفرد الرسالي الذي يقوم بالعمل الاجتماعي عليه أن يفكر كثيراً في تأمين الحاجات الجماهيرية لكي يوجـه انظارها بعيدا عن الاعتماد على السلطة الظالمة .

٣ ـ تأمين الحاجات المعنوية :

السلطات الـظالمة التي تتحكم في الجمـاهير تعلم انها لا تبقى ولا تدوم لأن الجماهير لا تسمح بـذلك ، ولأن الـظلم لا يبقى ، فهي ـ ادراكـا منهـا لهـذه الحقيقــة ـ تحاول ان تطيل فترة بقائها اكبر مدة ممكنة ، وتتوسـل في هـذا بكل مـا تستطيـع حتى لو اضـطرت في هذا الامـر للتعاون مع الاجنبي ضد الشعب المسلم .

غير ان اهم ما تحاول ممارسته مع الجمـاهير هـو مسخ شخصيتهـا الاسـلاميـة الثـائـرة ، وإفقـادهـا اهم القيم المعنوية التي تتمسك بها .

ففي اولى خطواتها نرى أنها تقوم بممارسة الديكتاتورية والقمع مع من يتعرض ومن يتكلم !!
وتعد السجون وتمارس القتل والأرهاب مع الجماهير وذلك كله من أجل هدف محدد ومعين وهو تربيتها على الخضوع والخنوع ، وتعويدها على التعايش مع جو العبودية والكبت وإيجاد القابلية لديها على التكيف مع هذا الوضع الجديد .

ولكي تجري خطتها هذه بسهولة فإنها تعمد الى منع الجماهير من مصادر ثقافتها وتوعيتها ، لذلك تفرض حصاراً حديدياً يمنع وصول الثقافة الثورية للجماهير .
في نفس الوقت تقوم بتكثيف الاعلام الجاهلي المضلل لغرس افكار التخاذل في عقول الجماهير .

وهنا يجب على هذا الفرد ان يقوم بدوره بصورة كاملة فيحاول جهد امكانه ان يقاوم خطة السلطة هذه وذلك :

- على الصعيد الأول عليه ان يتعامل مع الجماهير بشكل يجعلها غير قابلة للاستعباد ، فلا يتعامل هو

معها بدكتاتورية واحتقار ، وإنما يحاول تركيز العزة والثقة بالذات في نفسيتها .

- وعلى الصعيد الثاني لا بد ان يجعل من نفسه مشعل وعي ومصباح نور ، فالثقافة السليمة الهادفة التي تمنعها السلطة وتصادرها كما يصادر الأفيون والحشيش لا بد ان يؤمنها هذا الفرد .

كان الحديث السابق عن الصفات التي لا بد من توفرها في الرسالي الذي يمارس دوراً جماهيريا ظاهراً في المجتمع .

الدور السري

ولا شك ان الرسالي الذي يقوم بهذا الدور يقوم بدور أخطر بكثير من الدور السابق وأعظم تأثيراً في مسيرة الثورة الرسالية في المجتمع ، فعلى عمل هؤلاء الجذري العميق تتغير المجتمعات وتنجو الشعوب من ظالميها وهؤلاء حقا هم (اوليائي وبهم تكشف كل بلية وتزاح كل فتنة)[1] .

ولمنزلته العظيمة فإنه يحتاج الى جهاد عجيب للنفس ولشهواتها ومقاومة كبيرة لرغباتها ونزعاتها التي تتناقض ـ احيانا كثيرة ـ مع متطلبات هذا الدور .

ـ فهو احيانا يتطلب من الفرد المؤمن ان يغير طريقة

---

(١) تحف العقول .

واسلوب حياته تغييرا كاملا ونهائيا ، ليتوافق مع اهم عنوان له وهو السرية الكاملة فيلجأ الى تغيير مكان إقامته ، وعمله والكثير من عاداته ويضطر الى تغيير كبير في نفسيته ووضعه الاجتماعي لهذا السبب .

ـ في نفس الوقت لا يجد محفزاً من الخارج ، فالذي يمارس دوراً اجتماعيا ويخفق ويفشل في بعض اعماله ، أو تصادفه مشقات الطريق وعقباته ، يعوض كل هذا بالنجاحات الظاهرية الاخرى وبالتفاف الناس حوله ، وما اشبه ذلك من امور ظاهرة لهذا لا يحس بوقع الهزيمة كثيراً ، ولا بالاحباط لأنه يرى في انجازاته الأخرى عامل تشجيع له ، بينما الذي يقوم بالدور السري ، على العكس من ذلك فإنه في اعماله المثمرة والناجحة بطبيعة سريتها الكاملة لا يستطيع ان يظهرها للجماهير وبالتالي لا يستطيع ـ كسابقه ـ استمداد التشجيع من جماهيره في نفس الوقت الذي تؤثر فيه وتحز في نفسه التجارب الفاشلة ، ولذلك يحتاج الى مقاومة كبيرة من داخل نفسه لكي لا يتراجع .

وعلى هذا فالفرد الذي يقوم بالعمل السري قد يكون في ناحيتين :

١ ـ السياسي بين الجماهير : إن الثورة الشاملة كما هي بحاجة الى ايجاد تيار فكري جماهيري ثوري ضد السلطة القائمة هي بحاجة اكثر الى طلائع وعناصر من خيرة المجتمع تحمل الثورة على عاتقها وتتحرك ولكي ينضج هذا التحرك لا بد ان يكون سريا وحذراً لكيلا يضرب قبل (نضوج الثمرة) .

اننا نلاحظ ان جميع المصلحين الذين قاموا بثورات تغييرية شاملة في التاريخ مارسوا هذا الدور اولا وعلى ضوئه تهيأت الظروف الموضوعية لنجاح ثوراتهم .

وابرز مثال على هذا هم المرسلون (عليهم السلام) فإننا نلاحظ ان فترة من اهم الفترات ثورتهم ورسالتهم كانت العمل السري بين الجماهير وكسب هذه الجماهير واستقطاب العناصر الصالحة منهم بل ان الانبياء انفسهم كانوا مغمورين في المجتمع سواء قبل الرسالة او اثناء قيامهم بالدعوة اليها ، وكذلك اتباعهم حتى انهم

لضعفهم وخمول ذكرهم وعدم منزلتهم الاجتماعية والمالية وغيرها كانوا يهددون بالنفي تارة وبالتعذيب اخرى وبالقتل ثالثة ولنستعرض بعض النماذج على هذا :

*﴿ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴾[1] .

*﴿ لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا ﴾ [2] .

*﴿ لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسكم منا عذاب اليم ﴾[3] .

*﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ﴾ [4] .

وبعد هذا ايضا نلاحظ جانبا كبيراً مخفيا وفي طي المجهول من حياة ائمتنا ذلك الجانب ليس الا هذا الذي نتحدث عنه .

---

(١) الشعراء آية / ١١٦ .
(٢) مريم آية / ٤٦ .
(٣) يس آية / ١٨ .
(٤) الانفال آية / ٢٩ .

وابنـاء الأئمة كـذلـك فكيف حيـاة عيسى بن زيـد ، وكيف كانت حياة حسين ذي الدمعة ؟ وغيرهم .

٢ ـ الاعـداد العسكري : ان الثـورة كما تعتمـد على الايمـان والتسلح بالتـوكل عـلى الله فإنها تحتـاج الى قـوة ضـاربة تحميهـا لذا نـرى ان الله حينـما ارسـل الـرسـل واعطاهم تعاليمـه اعطى لهم قـوة رادعة وحـامية تضمن عدم الاعتداء على هذه القوانين وعدم اختراق حرمتها ، وهي العقوبات .

وفي ثـورة الـرسـول الاعـظم (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) لاحظنا اثر القوة العسكرية الضـاربة التي تمثلت آنئذ في (سيف علي) وشجاعته .

وفي ثورة الحسين كـانت قوة العبـاس بن علي (عليـه السـلام) . . وهكذا وقـد تتطور المسـألة الى حـد تحتاج الثورة الى تشكيل جنـاح خاص بهـذا العمل ، كـما كان لـدى الامام الصـادق (عليه السـلام) جناح عسكـري يقوده ابنه اسماعيل .

والافراد الذين يكونون هذا الجناح لا بـد ان يكونـوا على درجة عالية الجودة من السرية والتكتم .

قواعد ذهبية للنجاح

إن هذا الصنف من العاملين الرساليين يحتاج لتوفير مواصفات خاصة هي بمثابة جواز مرور نحو النجاح .

١ ـ القاعدة الأولى :

اغتنم من اهل زمانك خمساً :

ـ ان حضرت لم تعرف .

ـ وان غبت لم تفتقد .

ـ وان شهدت لم تشاور .

ـ وان قلت لم يقبل قولك .

ـ وان خطبت لم تزوج .[1] .

إن الفرد الرسالي كما يوضح الامام الباقر (عليه السلام) وهو يمارس الدور السري عليه ان يقوم بتغيير كامل لاسلوب حياته ، وان ينسلخ من الحياة الطبيعية التي يعيشها اقرانه في المجتمع .

فسائر الافراد يفتشون ويسعون عادة لتأمين مستقبلهم الشخصي وترتيب اوضاعهم الحياتية بشكل مستقر ، فتراهم يبحثون عن العمل المناسب القريب ، ويجمعون المال لبناء البيت المؤثث . . ثم يرتبون اوضاعهم الاجتماعية بشكل تكون شخصياتهم محبوبة وحاضرة اجتماعية وتحاط بالاحترام . . الى آخر القائمة .

اما الفرد الرسالي الذي تفرغ للجهاد ، والعمل السري فإنه يتمسك بالقاعدة التي يطرحها الإمام الباقر (عليه السلام) :

ـ ان شهدت لم تعرف . . فلا شخصية اجتماعية

---

(١) تحف العقول ص ٢٠٦ من وصية الامام الباقر لجابر الجعفي .

معروفة له وإذا حضر لا يتوجه الاهتمام والاضواء اليه ، بل انه يبقى في دائرة الظل ، سواء حضر ام غاب .

ـ وإن غبت لم تفتقد ، فهو يحول نفسه الى فرد (نكرة) في المجتمع ، فلا حضور له حتى يفتقد عندما يغيب ، بل يتجرد عن أي حيثية اجتماعية تخوله وتمكنه من الاستفادة منها ، وبالرغم من منزلته العظيمة ، وشخصيته الكبيرة ، وربما علمه الوافر الا انه يتعمد ابقاء هذه الجوانب في الزوايا المعتمة في الليالي المظلمة اثناء التخطيط لعمل ثوري ، او تنفيذ مهمة رسالية .

ـ وان قلت لم يقبل قولك : وفي هذه الحالة ايضا لا يصر على اظهار علمه ، والبرهنة على صحة رأيه ، بيان قدره وشخصيته من خلال اثبات قوله الصائب وانما يترك المسألة لكيلا يكشف ويعرف اتجاهه ونوعية تفكيره .

ـ وان خطبت لا تزوج ، لأنه غير معروف اجتماعيا ولا يتقمص الكثير من قيم المجتمع القائمة على الماديات ، والقضايا الصغيرة وبما انها تتحول الى (قيم صل) في المجتمع وهو لا يملكها لذلك حتى في

مسائله الشخصية تؤثر هذه القضايا .

إذن الامام الباقر (عليه السلام) يوجه الفرد الرسالي الذي يمارس هذا الدور الى ان يتجرد بالكامل عن قيم المجتمع .

فبدلا من اتخاذ الاصدقاء يمينا وشمالا وفي كل مكان عليه في هذه الحالة ان يتخلى عن اصدقائه في المجتمع ما دام يمارس هذا الدور ، ويبقى مع اصدقاء العمل فقط ، وإذا كانت صداقاته مع سائر الافراد تكشف عمله وطبيعة تحركه .

وعوضاً عن سعيه لتأمين حياته الشخصية والاجتماعية والتفتيش عن الاستقرار عليه ان يعد نفسه للغربة والتشرد والتعود على حياة الانتقال والهجرة والظروف الصعبة، فقد يكون مسكنه غير معروف حتى لديه ، فربما يبيت ليلة في مكان واخرى في ثان وثالثة في ثالث وهكذا . . ولربما يكون عليه ان يقضي شطراً من عمره بعيداً عن مجتمعه واهله في ارض ثانية غير ارضه التي نشأ عليها ، او في نفس ارضه لكن عليه ان لا يرى اهله وان يبتعد عن مجتمعه واصدقائه .

إن الثوار والمصلحين وعلى رأسهم الرسل العظام في طول التاريخ قاموا في فترة من فترات حياتهم بهذا الدور فغيروا اماكن اقامتهم واختفوا فترة من الزمن او هاجروا وغيّبوا انفسهم عن أعين السلطات التي كانت تلاحقهم وهكذا استطاعوا ان يواصلوا سيرتهم الرسالية .

فالنبي موسى (عليه السلام) نجد انه لكيلا يكتشف في المجتمع الذي يسيطر عليه فرعون احس أنه يجب أن يغيب ، ويهاجر ، ويهرب من قبضة السلطة فـ ﴿ **خرج من المدينة خائفاً يترقب** ﴾ .

ونجى بهذا الخروج من الوقوع في قبضة السلطة الفرعونية .

والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما رأى الطوق يضيق على رقبة ثورته وعناصره ، امرهم بالهجرة الى الحبشة وتغييب انفسهم عن قريش ثم هاجر هو نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واستطاع بذلك أن يحدث انعطافا في مسيرة ثورته وحركته انتهى الى الانتصار على المجتمع الوثني القرشي .

بل نـلاحظ ان جميع الثوار كانوا يغيـرون شخصياتهم بشكـل كامـل ويغيّبون انفسهم عن المجتمـع ويستمرون في اعمالهم .

هذا عيسى الثائر الذي يـذكر ان يحيى بن زيـد سأل وطلب ان يراه ، وبعد الالحاح بدأ الوصف له : تذهب الى الكوفة وتدخل في حـارة السقائـين ثم تنظر الى بـاب اسـود ، فهذا بيتـه وكـذلـك لن تـراه في بيتـه اذا شئت فأنتظر الغـروب ، واذهب الى ظاهـر الكوفـة (البريـة) وعندما تغيب الشمس ترى رجلا مسنا قد اقبـل لا تفتر شفتاه عن تقديس الله وتسبيحه ودموعه تسيل عـلى لحيته فإذا رأيته هكذا على بعير اعجف فأعرف انه هو فقم اليه وسينفـر منـك كـما ينفـر من السبـاع فقـل لـه اني فـلان فسيقبل عليك فلا تظل عنده فتهلكه .

يقـول فذهبت الى الكـوفة وانتـظرت الغروب بـظاهر الكـوفة وبينـما انا كـذلك اذا بـرجل لا تفـتر شفتاه عن الذكر والتسبيح على الصفـة التي ذكرت لي فـاقبلت عليه فنفـر مني ، وعندمـا اخبرتـه بنسبي اقبل عـلي وعـانقـني وبكى بكاءً مراً وسألني عن اهل بيته واحدا واحـداً وقال

لي : انني اعمل سقاءاً في هذه المدينة دون ان يعرف احد نسبي ومذهبي ، فأتقوت وأعيش من عملي ، فأكري دابة وظروفا وأذهب للسقاء ثم ادفع قسما مما حصلت عليه لكراء الدابة والظروف ويبقى الباقي لي ، واحيانا لا احصل على المال فأخرج الى صحراء الكوفة حيث يرمي الناس فضلات طعامهم فأتقوت منها .

وهذا الرجل مع علمه الجم ومنزلته الكبيرة الا انه يضطر للعمل كسقاء وإلى أن يأكل من فضلات الناس المرمية لكي يضرب لنا المثال الأكبر في التجرد عن ماديات الدنيا .

وهؤلاء هم الذين يصفهم الامام الصادق (عليه السلام) بأنهم اتباعه وشيعته ومواليه ضمن حديث طويل يعدد فيه صفاتهم واحوالهم فيسأله السامع : فأين اجد هؤلاء ؟

فيجيب الامام الصادق (عليه السلام) : (على قمم الجبال وأطراف المدن) لكي يأمنوا عن الانكشاف امام السلطات الظالمة .

٢ ـ القاعدة الثانية :

(اكتم ذهبك وذهابك ومذهبك) .

إن الفرد الرسالي المتفرغ للعمل السري يقوم بعمل يستهدف تقويض السلطة الظالمة من الجذور دون ان تحس هذه السلطة به .

ارأيت الشجرة العظيمة . . ان مظهرها الخارجي يوحي بالصلابة والقوة غير ان (السوس) قد يكون نخرها من الداخل واضعفها بحيث لا تستطيع مقاومة اية ريح وتمر عليها انا وانت فلا نرى جوهرها المنخور ، ونعجب بمظهرها الهائل .

إن حال السلطة الظالمة مع الرساليين هو هذا المثال تماما .

ففي الخارج السلطة تبدو قوية ، قادرة متمكنة ، يظهر في الاستعراضات العسكرية قوتها وسلاحها الحديث ، غير ان الواقع هو غير ذلك ، فعمل الرساليين الصامت ينخر في اجزائها وباطنها ثم يسقطها .

من هنا تخشى السلطات الافراد الرساليين هؤلاء خشية كبيرة وتحاول ـ قدر امكانها ـ ان تضع عليهم عيونها ، وتتبع حركاتهم وتراقب تصرفاتهم وتجمع ما يمكنها جمعه لتضربهم في الوقت المناسب ، وهي لا تخاف احدا في المجتمع قدر ما تخاف هذه العناصر المؤمنة .

ويعطينا الإمام الصادق (عليه السلام) القاعدة الثانية ، لكي يلتزم بها الافراد الرساليون الذين يمارسون هذا الدور وهي : اكتم ذهبك وذهابك ومذهبك .

للتخلص من رقابة السلطة ، ولتفويت الفرصة عليها ، لا بد من التكتم والحذر والتقية في بعدين :

ـ بالنسبة للآخرين : سواء السلطة ، او الاصدقاء ، او سائر ابناء المجتمع ، فبالنسبة للسلطة المسألة طبيعية فما دامت تريد القضاء عليه وعلى عمله الرسالي فإن عليه لضمان استمرار العمل ان يخفيه ، ويحميه بدرع السرية ، الا ان بعض الافراد قد يتصورون خطأ ان بإمكانهم الحديث مع اصدقائهم في المجتمع حول مسائل العمل والتحرك ، او يحدث ان يكشف لهم عن هويته او اعماله او تنقلاته ، واتصالاته مع الآخرين . . وغير

ذلك وهذا خطر ماحق للفرد وللعمل ، فقد يكون بين الاصدقاء عميل مندس ومتسلل ، وقد لا يكون هذا ، إنما يحدث ان ينقلب بعض الافراد وينحرفوا الى خط السلطة بعد ان كانوا اصدقاء لهذا الثائر . . وتكون ورطته !! . .

إن على الثائر الرسالي ان يضع كل شيء في موقعه فالصداقة شيء وكشف اسرار العمل شيء آخر ولا يصح بحال من الاحوال ان تختلط الاوراق ، يقول الامام علي (عليه السلام) في حديث له عن هذا الموضوع (ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك)[1]ولكن لماذا ؟ !

الامام الصادق (عليه السلام) يجيب على ذلك قائلا :

* (لا تطلع صديقك من سرك الا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك ، فإن الصديق قد يكون عدوك يوما) .

---

(١) نهج البلاغة/ مختارات من حكمه (عليه السلام) .

*(من كتم سـره كانت الخيـرة بيـده ، وكـل حـديث جاوز الاثنيـن فشا)[1] .

ومن الطبيعي اذا كان السر يجب كتمانه عن الصديق فبقية افراد المجتمـع اولى ان يكتم عنهم ، فقد لا يشعـر البعض باهمية سر حصل عليه ويذيعه بين افراد المجتمع وهؤلاء بدورهم ينشرونه حتى يصل الى مسـامع السلطة وحتى لو لم يصل ، فإنه يفقد اهميته وفاعليته التي كانت تقـوم على اسـاس سريتـه فكـما يقـول الصـادق (عليـه السلام) :

(إظهار الشيء قبل ان يستحكم مفسدة له) .

ولقد حدث في التاريخ الاسلامي مرارا ان كثيـرا من الاعمـال الثوريـة تأخـرت او تحطمت بسبب خـروجهـا للجمـاهير ، الم يقـل الامام الصـادق (عليـه السـلام) لابن جندب في وصيته وهـو غائب ، إن الثـورة كان من الممكن ان تحدث ولكن سرها اذيع فبطل عامل المفاجـأة وتأخر اعلانها ؟ ! .

---

(١) بحار الانوار ج ٧٥/ ص ٦٨ .

(يا ابن جندب . . والله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فاذعتموه فاخره الله)[1] .

وثورة حجر بن عدي الكندي كشف سرها ، وحوصرت بالجيش الاموي نتيجة لهذا السبب ، فقد كان حجر اثناء هربه واختفائة عن نظر السلطة قد شاهدته امرأة وهو يدخل مخبأه في حي النخع ولم يحس هو بذلك ، وبعد لحظات انبأه وقع حوافر الخيل ان الشرطة قد قدمت ، وقبض عليه بعد ان اعطي الامان ولم يكن له مجال للهرب !!

ـ ثم بالنسبة للعمل وابعاده المختلفة ، فالامام (عليه السلام) يطرح مسألة السرية والتكتم في كل شيء ، بالنسبة لأموال الافراد التي تؤمن حاجات العمل والتحرك ، يجب ان تكون في مأمن عن الآخرين لكيلا تصادر من قبل العدو ، فقد يلجأ العدو احياناً كثيرة الى مصادرة اموال الثائرين وافقارهم لكي يتوقفوا عن العمل . ولعل هذا يفسر جزءاً مما كان يتعرض له الأئمة (عليهم السلام) في التاريخ من مداهمات

(١) تحف العقول .

لبيوتهم ومصادرة لما يملكون حتى حلي النساء !! وقلائد الاطفال !!

(ومذهب الانسان) وافكاره قد تكون دليلا على تحركاته وموقفه المناوىء للسلطة ، التي تلجأ في احيان كثيرة الى اختبار الافراد من هذه الناحية لمعرفة مواقفهم تجاهها ، لذا فمن غير الصحيح بالنسبة لهؤلاء الافراد الذين نتحدث عنهم ان يزجوا بانفسهم في كل جدل فكري ، لكيلا يتوضح خطهم ويزل بهم لسانهم فيقعون في شرك لا ينجون منه !!

- وتنقلات الفرد الاعتيادية وحركته في المجتمع ، وذهابه هنا وهناك ، وحركته المختلفة في قطاعات الجماهير ، او غيابه عن مسقط رأسه ، وسفره الكثير مثلا قد تأخذه السلطة دليلا على عمله المضاد لها والذي يختلف - طبيعياً - عن المسيرة الاعتيادية . . للمجتمع .

وللعلم فإن ٧٠٪ من معلومات المخابرات العالمية تستمدها من المصادر الاعتيادية ، من الاصدقاء والاقارب وحركات الشخص وما اشبه ، ويبقى قسم بسيط تستمده من مصادرها الخاصة .

فلكي يديم الرسالي الثائر عمله وتحركه لا بد ان يلتزم بهذه القاعدة التي تتحدث عنها روايات أهل البيت (عليهم السلام) :

* (اكتم ذهبك وذهابك ومذهبك).

* (سرك من دمك فلا يجرين في غير اوداجك) .

* (لا تطلع صديقك من سرك الا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرك فان الصديق قد يكون عدوك يوماً) .

* (ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك) .

* (من كتم سره كانت الخيرة بيده، وكل حديث جاوز اثنين فشا) .

ونكتفي بهذا المقدار من الاحاديث .

وقد قال احدهم عن هذه القاعدة بـ ـ شعراً ـ :

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه

فصدر الذي يستودع السر اضيق

اذا المــرء افشى ســره بلســانــه
ولام عــليــه غيــره فــهــو احمق

٣ ـ القاعدة الثالثة :

(. . . واعلم بانك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك اهل مصرك وقالوا : انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ولو قالوا : انك رجل صالح لم يسرك ذلك ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فان كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه خائفاً من تخويفه فاثبت وابشر فانه لا يضرك ما قيل فيك وان كنت مبائناً للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك ان المؤمن معنى بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها)[١] .

ان الرسالي الثائر باعتبار انه يمارس دوراً غريباً على المجتمع لم يألف المجتمع هذا الدور ولم يتحرك فيه ويواجه ضغوطاً نفسية واخرى اجتماعية ، ويدخل في صراع معها ليتغلب عليها .

---

(١) المصدر السابق .

أ ـ ان منشأ هذه الضغوط كون الفرد يعيش في مجتمع، يشعر بالغربة عنه في تفكيره وتحركاته ، واسلوب حياته ، وفي سائر الأمور ، وبطبيعة وجود العوامل المختلفة داخل الانسان من شهوات وغرائز دنيوية وضيعة ، تشده باستمرار الى التسافل الا ان يتغلب عليها كما يقول القرآن الكريم :

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم* ثم رددناه أسفل سافلين* الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾[1] .

تضغط عليه هذه النوازع والشهوات لتجعله يفكر أحياناً بالتخلي عن عمله الثوري والتفرغ للحياة الطبيعية السهلة .

فشهوة حب الراحة ، تضغط على الفرد لكي يستريح ويجلس بدلاً من السعي والركض هنا وهناك لانجاز عمل ثوري، وبدلاً من التشرد والغربة في سبيل القضية وفي سبيل ايثار مصلحة الأمة وراحة الجماهير على

---

(١) التين آية / ٥ .

مصلحتـه وراحته ، وتضغط عليـه غـريـزة حب الـذات لكي توجهه الى الاستئثـار والسعي للمستقبل الشخصي والراحة الذاتية بغض النـظر عن مصلحة الأمـة وسعادة الجماهير .

وبإختصار فأن هناك الكثير من الشهـوات التي تدعـو الإنسـان لكي يتثـاقـل ، وينشـد لـلأرض والتـراب ، يتحدث القرآن الكريم عن هذا قائلاً :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفـروا في سبيـل الله ، اثـاقلتم الى الأرض ؟ أرضيتم بـالحيـاة الدنيا ﴾(١) .

ب ـ وكما ان نفسية الفرد قد تضغط عليه ، وقد تغير شهواته مسيرته ، وكـذلك المجتمـع يقوم بـدور فعال في هذا المجال .

ففي البـدايـة يبـدأ التشكيك في عمـل الفــرد لكي يقنعوه من خلال التركيز على خطئه، وعـدم جدوائيتـه، ويحيطون الفرد الرسالي بمجموعة افكار في هـذا الصعيد

---

(١) التوبة آية / ٣٨ .

تجري على لسان عدد كبير منهم .

وقد يأتون احياناً بمظهر الناصح للفرد لكي يصححوا له خطأ و(ضلالة) ويستميتون في ذلك لكي يقتنع الفرد انه لا يمكن ان يكون هذا الجمع الكثير من الناس على خطأ وهو وحده على صواب وهل يصح ام يكون جميع افراد المجتمع لا عقول مفكرة لديهم فقط هو الوحيد الذي يملك التفكير !!

وبكثرة الدق على هذا المسمار قد يثبت في نفس الفرد ويتحول او ينهزم ، وما اشبه .

في حياة الانبياء مع اقوامهم كنا نلحظ هذا الجانب فقد كانوا يحاولون التشكيك في اصل رسالة الانبياء :

﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .. ﴾[1] ﴿ ان نترك ما يعبد آباؤنا .. ﴾[2] .

﴿ مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق .. ﴾[3] .

---

(١) الزخرف آية / ٣١ . (٢) هود آية / ٨٧ .

(٣) الفرقان آية / ٧ .

بل كانوا يقولـون صراحـة . . كيف يمكن لواحـد ان يحل مكان ثلاثمائة ؟ .

وفي الـوقت الحـاضـر نـرى وارثي اولئـك يشككـون الثـوار الرسـاليين في انفسهم وفي عملهم ويتسـاءلون في محضرهم : هل يستـطيع اعـزل لا يملك شيئاً ان يـواجه احدث الاسلحة ؟ ! .

ومن يقول ان العمل الذي تقوم به صحيح ؟ ؟ .

واذا كـان صحيحاً فلمـاذا لم يقم به فـلان وفلان من العلماء والكبار ؟ ؟ .

واذا لم ينفع هذا يبلؤون في اخباره عن عـاقبة المضي في هـذا العمل ليثنـوه عن الاستمرار فيخـوفونـه بالقتـل واعتقـال العائلة بـل والتشديـد على المجتمـع ومنعـه من بعض حقوقه كعقاب جزائي ؟ .

الم يقل البعض للامام الحسين (عليـه السلام) عنـد خـروجه للثـورة ابقى ولا تهتك نفسـك ، وعنـدمـا رأوا اصراره ، قالوا : فما حملك النساء ؟ .

وقد يضربون للفرد الامثلة تلو الامثلة ويأتون له بالدليل بعد الآخر على (حرمة تعريض النفس للتهلكة) !! كل ذلك لكي يتراجع عن مسيرته الثورية .

ج ـ وآخر الدواء معه التهم والافتراءات والدعايات فهو ساحر ومجنون وجاسوس كما كانت الأقزام السابقة تتهم الرسل وتشيع عنهم .

وفي الوقت الحاضر أيضاً فأقل ما ينعت به الثائر الرسالي في بلادنا انه :

- له ارتباط بالشيوعيين .
- ارهابي متطرف .

متزمت يعمل ضد الاسلام .

والى آخر القائمة . .

الامام الباقر (عليه السلام) يضع لنا القاعدة الثالثة التي تخرج الرسالي من هذه الدوامة ، وترسم له طريق الخلاص من المتاهة وهي :

لا عليك . . ليس المهم ما تقـوله الكثـرة في المجتمع وليس الـرأي العـام بـالضـرورة صـائبـاً لا تتخـاذل اذا سمعت التهم واذا رأيت الافتـراءات حولـك قد كثـرت فليزدد اقتناعك بصوابية خطك .

في هـذا المجال يؤكـد الائمة (عليهم السـلام) على ان الفرد الرسالي هو طليعـة التغيير في المجتمـع ولذلـك فهـو الذي يجب ان يغـير افكـار المجتمـع ويؤ ثـر فيـه لا العكس ومقيـاسه هـو المبدأ والخـطة التي يسـير عليهـا ، وعليـه ان لا يعتني بأقـوال المجتمع ويتـأثر بهـا سلبيـاً . يضرب الإمام الكاظم مثالاً لذلك قائلاً :

(يا هشام لو كان في يدك جوزة وقال الناس في يـدك لؤلؤة ما كان ينفعك وانت تعلم انها جوزة ؟ .

(ولو كان في يـدك لؤلؤة وقال النـاس انها جوزة مـا كان يضرك وانت تعلم انها لؤلؤة)[1] .

ان على الفرد وهو يواجه الضغوط سواء النفسية منهـا او الاجتماعية ان لا يـدعها تنخـر في نفسه وتسلمـه الى

---

(١) تحف العقول ص ٢٨٥ .

التراجع والانهزام وانما عليه ان يعرض كل هذه الأمور على مبدئه الذي يعمل من اجله وخطته التي يسير عليها ، ويرى اين تقع من مبدئه وخطته .

(واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا : انك رجل سوء لم يحزنك ذلك . .

. . ولكن اعرض نفسك على القرآن . .) .

٤ ـ القاعدة الرابعة :

(. . واوصيك بخمس : ان ظلمت فلا تظلم وان خانوك فلا تخن وان كذبت فلا تغضب وان مدحت فلا تفرح وان ذممت فلا تجزع)[١] .

تحاول السلطات الطاغية ان تخرج الفرد من حالة السرية المطلقة والعمل المكثف لكي تجمد نشاطه بشرائه او اعتقاله .

ولهذا السبب فهي تقوم باستدراجه ، اما بالترغيب

(١) تحف العقول ص ٢٠٦ .

وهي تعلم ان هذا الجانب لن يجدي مع الثائر الرسالي المؤمن لأن اقصى ما تعطيه وتؤمن له الحاجات المادية التي لا تعتبر لها قيمة في نفسه وانما غايته رضى الله .

فقد فشلت في التاريخ وتفشل ـ حتى الآن ـ كل المحاولات التي تصب في هذا الاتجاه ، فلم يستطع اي طاغية ان يشتري دين رسالي ثائر.

ان هارون الرشيد حاول هذا الاسلوب مع الرسالي الثائر بهلول فقد كان هارون الرشيد يريد القضاء على الإمام الكاظم تحت عنوان انه خارج ويريد الفتنة ولكي يحقق هذا الهدف سعى لجمع فتاوي كبار العلماء ونجح ، وجاء الى بهلول (عمرو بن وهب.) ليحصل على فتوى منه في مقابل توليته لمنصب القضاء العام ، واحتار بهلول ، فقصد قائده الإمام الكاظم (عليه السلام) واخبره عن القضية فاشار عليه الامام بتصنع الجنون ، وفي اليوم التالي (جُن) بهلول ووصل الخبر هارون فقال : والله ما جن بهلول بل فرّ بدينه .

ومع ذلك فان هذا الاسلوب بالرغم من عدم جدوائيته مع الرساليين المؤمنين الا ان الطغاة لا يزالون

يستخدمونه على امل الفلاح والنجاح من هذا الطريق باعتباره اسهل الطرق.

الا ان الاسلوب الامثل بالنظر الى نتائجه هو الاستدراج الاستفزازي .

فهي تستفز الجماهير وتستفز الرسالي اكثر ببعض الاعمال الخاطئة والمتعدية ولانه قد لا يحتمل ان يتعدى على المؤمنين لذلك يقوم بالرد وعندما يرد يكون قد وقع في فخ السلطة .

فالسلطة قد تمارس العنف العسكري مع الثوار لكي تجبرهم على حمل السلاح واشهاره في وقت لم يكونوا قد استكملوا قوتهم بعد ويقعون في مخطط السلطة الذي يهدف الى اقحامهم في صراع عسكري لا يريدونه فتستنزف قوتهم العسكرية وقد تقضي عليهم قضاء مبرحاً .

ان الائمة (عليهم السلام) قد كانوا قادة الحركة الثورية المعارضة للحكومتين الأموية والعباسية واشدها معارضة وبالرغم من تحركهم للثورات وتأييدها بشكل

مباشر او غير مباشر الا انهم لم يضعوا (البيض في سلة واحدة) ولم يقذفوا بكل قواهم ولا بالجزء الكبير منها في الثورات غير المتكافئة او التي كانت احياناً تعلنها السلطة الحاكمة عبر استفزاز الثائرين .

ولهذا نرى توقف الائمة (عليهم السلام) عن الحماس الذي يجرهم الى الوقوع في يد السلطة رغم ردهم على اقطاب النظام الا أن ردودهم كانت محسوبة بوعي ومدروسة بعمق .

وقد تمارس العنف السياسي مع الجماهير فتبدأ حملات الاعتقال والتسفير وتهديد الابرياء وتفرض جواً خانقاً على المجتمع .

او تبدأ بالاعتداء على المقدسات والحرمات الدينية التي يعتقد بها الجماهير، كالاعتداء على الاعراض او الاعتداء على الزعماء الدينيين وقد لا تحتمل الجماهير هذا فتثور ويجد الرسالي نفسه في هذا الجو المشحون فيتخذ قراراً بالتصعيد وهنا تكون الورطة والمشكلة .

لا شك ان الرساليين يجب ان يكونوا مع جماهيرهم المؤمنة مناصرين ومدافعين واذا تغيرت الظروف لا بد

ان يغيروا قراراتهم وان يقاوموا حالات (التكلس) في الخطط .

الا ان الخطأ الكبير هو ان تصبح خطة الرساليين مجموعة متباينة من الردود العكسية والانفعالات المؤقتة .

ان طبيعة الرساليين ان يكونوا اصحاب (الفعل) لا الانفعال وان من المفروض ان تتخذ السلطات موقف الدفاع وتغيير الخطط الدفاعية بناء على تطور اساليب الرساليين وخططهم لا العكس .

والامام الباقر يوصي الثوار الرساليين بأن عليهم ان لا يقعوا في فخ الطاغوت الذي يهدف لاستدراجهم سواء بالترغيب او بالعنف والاستفزار ، وليضع المؤمن كل همه في خطته فاذا كان يسير وفق هذه الخطة فلا يهمه مدح المادح او شتم القادح .

بل ان عليه ان لا يعطي العدو اي شيء حتى الكلام فالعدو قد يحاول ان يستدرج الرسالي ليخرج ما في قلبه من مشاعر ضد الطاغوت ، ويأخذها الطاغوت مدركاً وسنداً ضده حتى اذا حوصر الرسالي فإن عليه ان

يتصرف بحكمة تجعله ولا دليل عليه .

ان سعيد بن جبير العـالم الثائـر ضرب هـذا المثال ولم يعط للحاكم دليلاً عليه .

فقد جلب الى مجلس الحجاج الـطاغية وأراد الحجـاج استدراجه الى مقتله بلسانه ، الا ان سعيـداً لم يعطه اي سنـد عليـه فقـد استـطاع ان يتخلص من كـل اسئلة الحجاج ويخرج منها حينما دارت بينهما هذه المحاورة :

الحجاج ـ أي الخلفاء أفضل ؟ .

سعيد ـ اتقاهم لله .

الحجاج ـ فأيهم أتقى ؟

سعيد ـ أقومهم بكتابه .

الحجاج ـ أيهم في النار وأيهم في الجنة ؟ .

سعيد ـ لم أدخل الجنة فأعـرف أصحابهـا ، ولم أدخل النار فأعرف الداخلين فيها .

الحجاج ـ انت شقي بن كسير ؟ .

سعيـد ـ أمي اعلم بـاسمي وقـد سمتني سعيـد بن جبير.

وهكـذا لم يعط لـه فـرصـة واحـدة ليأخـذ عليـه (نقطة) .

الامـام البـاقـر (عليـه السـلام) يـوجـه للنجـاة من الاستدراج الى :

(فكر فيما قيل فيك) فاذا كان الأمر صحيحاً فعليك أن تعتبر هذا نصيحة وتصحح الخطأ الموجود وان لم يكن فلا يهمك .

اذن :

عـلى الـرسـالي ان يكـون حـذراً وواعيـاً لمحـاولات الاستدراج التي يقوم بها اجهزة الـطاغوت لتـوريطه وان ينتبه الى ذلك سواء كان بطريق المدح او الذم .

واخيراً عزيزي القاريء

كانت هذه الصفحات اطلالة عابرة اتحفنا بها عقولنا من (تحف العقول) خلال مطالعتنا لخطبتين من خطب ائمة اهل البيت (عليهم السلام) القيمة .

وكانت محاولة لاكتشاف، ملامح العمل الثوري الرسالي لدى ائمتنا وقادتنا (عليهم السلام) واهميتها تبرز في هذا الزمن المتغرب حيث يسارع الكثير لاهثين وراء وجوه مزيفة ونظريات معلبة ومصنعة في الخارج .

ان الحركات الاسلامية العاملة اليوم في الساحة لهي بحاجة ماسة ان تستلهم من تاريخها أصالة عجزت عن اكتسابها من اي مكان آخر .

الفهرس

الموضوع ـــــــــ الصفحة

الفصل الثاني

الفصل الثالث